Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

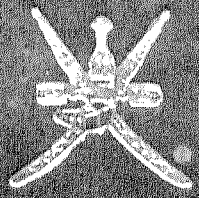

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتاب
سيرة الإمام عزان بن قيس

وأخباره وسيرة بعض الأئمة من آل اليعربي

من جمع وتأليف
الشيخ العلامة المؤرخ
أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن محمد الرحبي

الطبعة الثالثة
١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة
سلطنة عمان

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتاب

تمهيد قواعد الإيمان

وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من جوابات
الشيخ العالم العلامة
أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي

الجزء الثالث

١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــاب
فى تفسير شىء من الأحاديث النبوية والألفاظ العربية

عن الشيخ الخليلى رحمه الله تعالى :

قالت عائشة رضى الله عنها : فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأوا منه خفة فى أول النهار ، فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم ، مستبشرين ، وأخلوا رسول الله صـلى الله الله عليه وسلم بالنسـاء ، فبينا نحن على ذلك ، لم يكن على مثـل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخرجن عنى هـذا الملك يستأذن على » فخرج من فى البيت غيرى ، ورأسه فى حجرى ، فجلس وتنحيت فى جانب البيت ، فناجى الملك طويلا ، ثم دعانى فأعاد رأسه فى حجرى ، فقلت النسـوة ادخلن ، ثم قلت : ما يحسن جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أجل يا عائشة هـذا ملك جاءنى فقال : ان الله أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن لى أرجع ، وان أذنت لى دخلت ، وأمرنى أن لا أقبضـك حتى تأمرنى فما أمرك ؟ فقلت : اكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام ، فهـذه ساعة جبريل » .

قالت عائشة رضى الله عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له جواب ، ولا رأى ، فوجهنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيئا ، وما يتـكلم أحـد من أهل البيت اعظاما لذلك الأمر ، وهيبة ملأت أجوافنا .

قالت : وجاء جبريل فى ساعة ، فسلم فعرفت حسه ، وخرج أهل البيت ، فدخل فقال : ان الله عز وجل يقرؤك السـلام ويقول : كيف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تجـدك وهو أعلم بالذى تجـد منـك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامـة وشرفا ، وأن يتم كرامتـك وشرفك على الخلق ، وأن تكون سـنة فى أمتـك .

فقال : أجـدنى وجعـا .

فقال : أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك .

فقال : يا جبريل ان ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر .

فقال جبريل : يا محمد ان ربك اليك مشـتاق ، ألم يعلمـك الذى يريدك ، لا والله ما استأذن ملك الموت على أحـد قط ، ولا يستأذن عليه أبـدا ألا وان ربك متم شرفك ، وهو اليك مشتاق .

قال : فلا تبرح اذن . انتهى ما أردنا نقـله من كتاب الاحياء .

وقلت لشيخى الأرشد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلى : ما تقول فى صـحة هـذا الحديث ، وما تأويله ؟

الجـــواب :

الله أعـلم ، وانى لضـعيف عن مثل هـذا ، فلا أدرى ما أقول فيه ، غير أنى لا أقوى على انكاره ، ولا أقول بأنه مستحيل ، فيرد على من قال به ، ونفسى تميل الى اجازته ، وعقلى يقول : بامكانه ، فان ثبت هـذا فى الحـديث فلا سبيل الى دفعه ، ولا أرى حجة تدل على منعه ، فهو من باب الكرامات المعدودة لسيد المرسلين ، وصفوة الأولين والآخرين ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

وان كان الاشـكال فيه من حيث ان أمـر الله واقـع لاراد له ولا دافع ، بالموت قـدر معلوم وأمر محتوم ، فلا استئذان فيه لأحد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من العبيد ، والله فعال لما يريد ، فليس هذا من بابه ، فالله تعالى عالم بما يكون من جوابه ، بأنه ميت لا محالة ، وانما جعل ذلك مزيدا فى كرامته ، وتنويها لفضله ، وتعظيما لمنزلته لا غير •

كما ثبت فى الخبر أنه أرسل الملائكة لاهلاك قوم لوط عليه السلام ، أمرهم أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط عليه السلام أربع شهادات ، والله تعالى كان عالما باستحقاقهم العذاب ، واستئهالهم الانتقام ، وأن ذلك سيقع بهم لا محالة ، وانما جعل ذلك كرامة لنبيه ، واذهابا لغيظ صدره ، ليكون انتقامهم بسببه ، واذا جاز ذلك فأى معنى مانع من هذا ، فالله تعالى عالم أنه صلوات الله عليه سيختار الموت ، وأنه ميت لا محاله فى ذلك الوقت ، وانما جعل للاستئذان من ملك الموت اكراما له ، واجلالا لقدره وفضله ، خص بها دون غيره •

واذا كان غير مستحيل ما يوجد فى بعض الآثار أن بعض الأولياء تلقاه ملك الموت فى طريقه ، فساره فى أذنه بأن لى اليك حاجة ، فقال : ما هى ؟ فقال : أمرت بقبضك ، فاختر على أى حالة شئت ، فقال له : دعنى أصلى ركعتين واقبضنى وأنا ساجد ، فتوضأ وصلى وقبض فى سجوده ، فقد أرسله الله تعالى أن يقبضه فى سجوده ، والله تعالى عالم أنه سيكون ذلك ، وأن ملك الموت لا يقبضه الا وهو ساجد •

وقد يمكن أن يصلى هذا الولى فيقبض من غير أن يخبر بذلك ، وانما كان الاخبار له كرامة ، وليس هذا من المستحيل ، فالاخبار فى حق ذلك الولى كالاستئذان فى حق هذا النبى ، واختلاف حالتيهما كاختلاف منزلتهما ، وكلاهما راجع الى حكم واحد ، وله أن يكرم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من يشاء من عباده بما لا تحيطه العقول ، ولا تتصوره الألباب ، فليس هذا بعجاب ، فدع الشك والارتياب .

وقد جاء فى هذا شعر :

واذا كنت بالمدارج غرا
ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

واذا لم تر الهلال فسلم
لأناس رووه بالأبصار

وقل آمنت بالله ثم استقم
وحسبنا الله ونعم الوكيل

❋ مسألة :

ومنه : وما تقول شيخنا فى الحديث المشهور : « نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » بين لنا معناه ، واكشف لنا فحواه ؟

الجواب :

قيل : على سبعة أحرف أى على سبعة فى القراءة ، ويرده أن ذلك قل ما يجتمع فى كلمة .

وقيل : على سبع لغات : بلغة قريش ، وتميم ، وعدوها كذلك وهى متفرقة فى القراءة فيها ، فى القرآن كله ، وان لم تجتمع كلها فى كلمة بعينها فهى كذلك ، وسياق الحديث أقرب الى الدلالة على هذا المعنى ، لأنه ورد بعد تنازع بعض الصحابة فى القراءة ، فقال : « ان هذا نزل على سبعة أحرف كلها شاف فاقرءوا ما تيسر منه » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقيل : على سبعة أقسام : أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وناسخ ومنسوخ ، وقصص وأمثال ، وهما القسم السابع وهذا أبعدها ، والله أعلم .

مسألة :

ومنه : وجدنا رواية فى الأثر الصحيح ، وهى : «من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ما صفة هذا الاخلاص ؟

الجواب :

من أخلص لله تعالى دينه وايمانه ، وجسمه وفؤاده ، وسره ولسانه ، فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه ، على لسانه ، بفضله وكرمه ان شاء الله تعالى ، وهذا لا يكون الا بالتجرد التام ، والانقطاع عن العلائق ، والتبتل الى الله تعالى بتصفية القلب عن جميع الشوائب والكدورات ، والزامه دوام الحضور مع الله تعالى ، حتى تتجلى عليه لوامع الأنوار الإلهية من الحضرات القدسية ، بالتجلى على وجوده ، الى حضرة شهوده .

فاذا ثبت على ذلك ، فهو المشار اليه هنالك ، لأنه الذى تتفجر منه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، والله أعلم .

مسألة :

ما تقول شيخنا فى الحديث المشهور : « لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين » ما معنى هذه المحبة التى تقع فى قلب المؤمن له صلى الله عليه وسلم ؟ أهى قبول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما جـــاء به ، وطاعته له فى الأوامر والمناهى ، وتقليده فى الدين ، كمحبته لربه أم هى شىء غير هـذا ؟

ثم ما معنى هـذا الايمان المنفى عمن ثم يتصف بتلك الصـفة فى النبى صلى الله عليه وسلم ، أهو الايمان مطلقا ، أم نوع من أنواعه ، أم مـــاذا ؟ تفضـــل فصـــل لنا مجمل هـذا الحديث مأجورا •

الجـــواب :

نحمد الله تعالى ثم نقول : ان محبة النبى صلى الله عليه وسلم هى محبة الله تعالى ، وقـد ثبت فى مثل هـذا فى نص القرآن ، قال الله تعـالى : (قل لو كان أباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشـــون كسادها ومساكن ترضـــونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهـدى القوم الفاسقين) فدل على أنه لا يتم ايمـــان العبـد الا بأن يكون الله ورســـوله أحب اليه من الآباء والأبنـــاء ، والأزواج والأموال ، والا فلا سلامة ولا ايمان ، ولهـذا كمل الآية بالوعيد بقوله : (فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) ثم سجل عليهم باسـم الفســـوق (والله لا يهـدى القوم الفاسقين) •

ونتيجة هـذا الايمـان وميزانه ، بأن يبتلى فى أحـد من هؤلاء المذكورين ، بمـا يوجب فيه حـد الله أو حـكما أو ولاية أو براءة فان أبغضه لله ، واحبه لله وعاداه فى الله وولاه فى الله ، وبذل الحكم لله ، فقد صـار الله ورسوله أحب اليه منه ، وان كانت الأخرى فهو بعـده من الايمـــان أحرى •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الله تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حـاد الله ورسـوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخـوانهم أو عشيرتهم) فاذا عادوا الآباء والأبناء والاخوان والعشائر فى دين الله فهى محبة الله ورسوله ، وقـد وضح بذلك أن المؤمن اذا بلغ هـذه المنزلة فقـد صـار رسول الله أحب اليه من الأهل والمـال والأولاد ، لأنه آثر حب الله وحب الرسول صلى الله عليه وسلم على محبة نفسـه ، وقـدم مرضات الله تعالى ورسوله على أهله وماله وولده ، فهو فى كل ذلك تابع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومحب له ومصـدق بما جاء به ، وتابع لأمره ، ومطيع لقوله .

وهـذه هى محبة الرسول صـلى الله عليه وسلم وكمالها كمـال الايمان ، ونقصها نقص الايمان ، وبه يعرف أن الايمان المنفى عمن يتصف بذلك انمـا هو الكامل ، فهو النافع عند الله تعالى ، هـذا ومن ناول فى مرضـات الله تعالى ، وواجبات دينه ، وجـدها كلهـا من هـذا البـاب .

فالعبد يترك طعامه وشرابه فى الصـيام ، ومنامه فى القيام ، حبـا لله ولرسوله ، ويبذل مـاله فى الصـدقات والزكاة والاطعام حبـا لله ورسوله ، ويخرج عن أهله وأولاده وأمواله ووطنه فى الحج والجهاد ، حبـا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ويترك كثيرا من شـهواته فى حلالها وحرامها ، حبا لله ولرسوله ، ويعتق الرقاب حبا لله ولرسوله ، ولولا أن حب الرسول الذى هو نتيجة من حب الله تعالى ، متمكن فى قلبه ، ومسوط بلحمه ودمـه ، وغالب على قلبـه ، ومتملك لوداده ، لمـا فارق الأهل والأولاد من الاخوان والعشائر ، وبذل الأموال ، وتكلف المشاق لوجـه الله تعالى ، ولولا ذلك لمـا أعف عن أحب نسـائه أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جواريه ، أو أمواله بكلمة تحرمها عليه ، وبما لا يطلع الخلق عليها البتة ، فلا يرضى مؤمن أن يكون لهـا ساترا ، أو عليها مداهنا ، ولو كان ذلك فى نفسـه أن خروجه من يده قريبا من خروج الروح من جسده .

فلا يرضى مؤمن الا أن يكون مقدما لحب الله ، فى امتثال أمره ، على حب نفسـه ، غير مؤثر لهواه ، ولا متعلل فى ذلك بشىء يدفعـه عنه ، اذا لم يكن له مخرج فى دين الله تعـالى الا يفعله ، فيبذل ولده للقصـاص أو القود ، وزوجته للطلاق أو التحريم ، وأمواله للخلاص من الضمانات والمظـالم ، ودفعها فى الحقوق ، ولو كان قادرا على منع ذلك كله ، فان محبته لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم غالبة على قلبـه ، متمكنة من لبـه ، حتى يخرجه عن أهـله وأولاده ، واخـوانه وعشيرته ، وأمواله كلها ، بل قـد تغلب عليه اذا ابتلى بمـا زاد على ذلك ، حتى يبذل نفسه التى لا عوض لهـا ولا ثمن ، ولا محبوب سواها إلا محبة الله تعالى ورسوله ، فلم يرض بدونه ، ولا يتم له الايمـان إلا ببذلها ، ولا يكون من المؤمن الا محبة ايثارا لله ورسـوله على نفسه ، فيبذلها طوعا فى الجهاد ، وتارة فى القصـاص ان بلى به ، وناهيك بهذا عما زاد عليه لمن فهم ، فهـذا ما حضرنى فيه ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : شيخنا تفضـل فسر لنا هـذا الحديث : « الصبر نصف الايمـان » وبين لنا معناه مأجورا ؟

قال : قـد قيل فى الصبر انه على أنواعه ثلاثة أقسام : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصـية ، وصبر على المصـائب ، ولا رابع لها ، فاذا كانت أعمال الطاعات كلها محتاجة الى الصبر عليهـا ، بمعنى أنها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا تأتى لمن لا يصبر على القيام ، وذلك فى كل شىء من طهارة أو صلاة أو صـــوم ، أو صـــدقة أو نسك ، من حج أو عمرة أو نذر ، أو اعتكاف أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، أو جهاد ، أو ما كان من المعاملات المباحة من تزويج ، أو بيع أو شراء ، أو اجارة ، أو قضـــاء الى غير ذلك من أنواع المعاملات البشرية ، والأمور الدينية .

فكلها لا تكون الا بالصبر على اتباع الحق فيهـــا ، والانتهاء عن باطلهـــا ، وكذلك جميع المناهى من المحـــرمات ، والفواحش والمعاصى مطلقـــا ، ولا سبيل الى اجتنابها الا باستعمال الصبر عنها ، كمـــا أنه لا سبيل الى موافقة مرضـــات الله فى جميع ما تجرى بضروب القضاء والقـــدر ، من الأوامر الإلهيـــة الا باستعمال الصبر عليهـــا ، والثبوت عند مواقعها على سبيل الاستسلام لأمر الله ، والتفويض لله ، والرضا بقضـــاء الله .

فاذا اعتبر هـــذا علمت به سريان هـــذه الخصلة ، التى هى الصبر فى جميع الأشياء الدينية والدنياوية مطلقا ، فيجوز هـــذا الاعتبار أن يقال : ان الايمان صـــبر كله ، والصبر هو الايمان كله ، لكن الشارع اعتبر معنى آخر أدق منه ، وهو أن كل شىء من الطاعات حصـــل من نتيجة هـــذا الصبر ، فقد وجب عليه الشكر مطلقا ، فالشكر فريضـــة فيه ، فهما متلازمان لا ينفك أحـــدهم عن الآخر على حال ، فعبر عن الصبر بنصـــف الايمان ، وكأنما جعل الشكر نصفه الثانى ، فقد كمـــل الايمـــان كله ، على نحو ما قدمنا من الاعتبار فى الصبر ، بل هو الظاهر بدليل قوله تعالى : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) .

وليس بين هـــذه الاعتبارات مناقضة ، ولا مضادة ، فكلها تسقى من مـــاء واحد ، ونفضـــل بعضـــها عن بعض فى المعـــانى الاعتبارية ، بموافقة الأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية ، والله أعـــلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* مسائل :

ومنه : وما معنى ما يوجد فى الأثر : « وما من مؤمن يحزن على موت العالم الا كتب له ثواب ألف ألف علم وثواب ألف ألف شهيد » .

الجواب :

والله أعلم ، والذى يظهر لى فى مثل هذا الشأن ، أن من قصر فهمه عن علم المعانى والبيان لا يكاد يغوص على درة من عجز عن ادراك قعره ، وأن يفهم معانيه مجالا رحبا ، ولكن له رجالا أولى بصر بالتأويل ، وقوة على اظهار غوامض الأحاديث والتنزيل ، وانى لست منهم ، ولكنى أقص لك ما يوجد عنهم فأقول : ان من تتبع أساليب كلام العرب ، وعرف مقاصدهم ، وسلك فى الفهم مسلكهم ، لم يشكل عليه ما يجد من نحو هذا فيما يوجد فى كتاب الله تعالى ، أو فى كلام الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم .

هذا وان النبى صلى الله عليه وسلم قد خاطب به قوما لم يعجزوا عن فض ختامه ، واستخراج زبده ، بالعبور على حقيقة المراد به ، وغاية القول فيه ، أن كثيرا من كلام الأنبياء والرسل ، وآيات الكتاب العزيز ، لا يصح أن يحمل فى التأويل على الحقيقة ، فنقتصر به على ظاهر اللفظ به فقط ، فانه على ما به من الاعجاز محتمل للحقيقة والمجاز ، وقد يؤتى به على طريقة التمثيل والتخييل ، فينجلى عن عقود البلاغة ، ويكتسى من برود الحسن ما لو خلا به منهما لم يحظ به رتبة عما كان مع وجوديهما .

هذا وان للعرب شأنا فى معنى المبالغة ، فانهم ان بالغوا فى وصف شىء أثبتوا لوصفه دعوى بلوغه فى الشدة والضعف ، الى حد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مستحيل أو مستبعد ، فكان ذلك نوعا من البديع يسمى بالمبالغة ، أو التبليغ ، وهو كثير فى الكلام ، شائع فى النثر والنظم ، وكان العلامة الصبحى قد تنبه له فأجازه لما سئل عن قول أبى الطيب :

ومهما يشر نحو السماء بكفه
تخر له الشعرى وينكسف البدر

ومثله قولهم : هذا كلام يفلق الصخر ، ويقلع الجبل ، ويستنزل الطير ، ويصرع الوعل ، وقد ألم به الشيخ ابن النظر فى قوله :

ألا انها صخر من الصخر تقلع
وبحر من البحر القلمس تنزع

ومثله :

فلو أن ما بى بالحصى فلق الحصى
وبالريح لم تسمع لهن هبوب

وليس هو كذبا منهم ولا باطلا من قولهم ، وانما هو مبالغة على طريقة التمثيل والتخييل •

والمعنى : لو أن شيئا تأتت به هذه الأشياء ، مثل هذه الأسباب ، وكانت هى مما يتأتى شىء ، ويتيسر بسببه لتأتت بهذا وتسهلت من أجله •

قال الزمخشرى : هذا تمثيل وتخييل ، كما مر فى قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض) الآية ، وقال فى المجتمع : تقديره : لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ، ويشعر به مع غلظه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجفاء طبعه ، وكبر جسمه ، لخشع لمنزلته وتصدع من خشيته ، تعظيما لشأنه ، وقيل فى الحديث : « لو كان هذا القرآن فى اهاب ما مسته النار » أخرج على معنى المثل فى تعظيم القرآن ، وجلالة قدره ، وعظم شأنه .

والمعنى أنه لو كتب فى اهاب ، وألقى فى النار ، وكانت مما لا تحرق شيئا لجلالته ، وعظم مكانته ، لم تحرقه ، وهذا باب واسع كبير ، ونظائره كثير ، وعندى أن منه الحديث الوارد فى فضل سورة يس : « من قرأ يس لوجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كمن قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة » ، فاذا كانت هى من القرآن جزء منه ، فيكون مقتضى القول فى فضيلتها أن لتاليها فضيلة من قرأ يس والقرآن اثنتين وعشرين مرة ، وهذا مستحيل ، ولكنه مما ضرب مثلا لقصد المبالغة الفضل على طريقة التمثيل ، والتخييل المذكور .

والمعنى : لو أن شيئا من التلاوة لشرفه وفضله ، وعظم شأنه ، يعطى من الأجر مثل من قرأ القرآن كله اثنتين وعشرين مرة لا عطية من قرأ يس ، وكفى بها شرفا وفضلا لها ، وعلى هذا عندى يخرج مجاز القول فى الحزن بموت العالم ، أن من حزن عليه فله أجر ألف ألف عالم ، وألف ألف شهيد .

ومعلوم أن العلماء هم الأولى بذلك ، لوفور علمهم ، وشدة بصرهم ، وعظم عنايتهم ، واهتمامهم بدين الله تعالى ، فهم أول حزين على موت العلماء ، وكئيب على ذهاب العلم وأهله ، لأن من كان أعرف بشىء ، وأعلم بقدره ، كان أقوم بحقه من غيره ، ولا شك فهم الأحقاء بهذا الفضل ، وهم الأحرياء بهذه المنزلة ، وان شاركهم فيها غيرهم ، فلا يكون الا على سبيل التبعية ، واذا شئت هذا فيكون مقتضى الحديث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحسب ظاهره ، أن كل عالم اذا حصلت منه هذه الخصلة ، فله ثواب ألف ألف عالم ، وألف ألف شهيد .

وكذلك الضعفاء لاستوائهم فيه ، وظاهره يقتضى التناقض ، فهو مستحيل لاقتضائه أن الحزن بموت العالم أفضل من العلماء مطلقا ، ولا وجه له لكن الشائع أن يكون من هذا الباب المذكور ، وهو أنه خارج على معنى ضرب المثل به مبالغة على طريقة التمثيل والتخييل ، كما قدمناه ، وتلخيص المعنى فيه ، لو أن شيئا من الأعمال لوفور فضله ، وعظم أجره ، يستحق به عند الله تعالى ثواب ألف ألف عالم ، وألف ألف شهيد ، لكان هو الحزن على موت العالم .

والمعنى : لو أن الله تعالى يعطى على شيء من الأعمال هذا الأجر كله ، لأعطاه على هذه الخصلة الشريفة ، واعلموا أن مثل هذه العبارات لا يعدل البلغاء اليها الا الأمر ، وهو ادعاؤهم لما وصفوه ، وهو شيء لا يبلغ الى حقيقة وصفه ، لعظم شأنه ، وعلو جلاله ، إلا بمثل هذه التمثيلات والأمثال البديعة (وتلك الأمثال نضر بها الناس وما يعقلها إلا العالمون) .

ولا تجد ما هو أعود نفعا ، وأجدى فائدة من تأويل مشكلات الحديث ، من علمى المعانى والبيان ، ولهذا لا يكون من لا دراية له بهما آلا قاصر الفهم ، عن ادراك الحقائق منهما ، متحيرا فى نورهما الباهر ، عن استخراج ما بهما من الجواهر ، لقصوره وقلة نوره ، والله ولى كل فضل ، بفضله وكرمه ، فلينظر فى ذلك ذاك ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وقد روى ابن ماجه فى سننه ، عن عائشة رضى الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنهـا قالت : لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصـلاة فقال : « لعن الله العقرب ما تدع مصـليا ولا غـير المصلى اقتلوها فى الحل والحرم » ما تقول شيخنا فى صـحة هـذا الحديث ، فانا قـد عرفنا من الأثر مطلقا عـدم جواز اللعن على البهائم لأنهن غير مكلفات ، تفضل بايضاح ذلك مأجورا ان شاء الله ؟

قال : الله أعـلم ، ولسنى من العلماء بالحـديث فأتكلم على ما فيه من حيث اسناده لرجاله ، بما يدل على صـحته أو ضعفه بذلك الاعتبار ، ولكنى أراه متداولا فى كتب الحـديث ، معروفا ، ولا يخلو وجوده من آثار أصحابنا ، ولا أعـلم أن أحـدا صرح بانكاره البتة ، ولكن العلماء من أصـحابنا أوردوا عليه ما تقتضيه القواعد الشرعية ، من منع جواز اللعن على غير المستحقين له من المكلفين مطلقا ، وهو صـحيح ان كان المراد به اللعن الموجب للبعد من رحمة الله ، فى الدار الآخرة ، كما هو المعروف فى موجبات البراءة من أهلها اصطلاحا شرعيا .

وأما اذا رد الى مجاز اللغـة عرفا من أن معنى اللعن لهـا هو ابعادها عن الخير العاجل فقط ، فلا مانع عنه ، وهو معنى قتلها واهلاكها ، فالموجب لذلك مبعد من الخير فى عاجله ، فلا مانع منه ، ولهـذا الاعتبار سميت فى الحـديث الثانى فويسقة من الفواسق الخمس التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحـل والحـرم وهى : الغراب ، والحـدأة ، والحية ، والعقرب ، والفأرة .

لكن الغراب والحـدأة اذا خاف ضررا منهما على متاعـه ودوابه جاز التعرض لقتلهما ودفعهما ، أعنى فى الحرم ان صـح هـذا ، وفى الفاسق فى الاصطلاح الشرعى من عصى الله ، وخالف أمره متعمـدا لذلك ، وسميت هـذه كذلك لتعاطيها أنواع الشرور والمضـار التى هى من أفعال الفسـقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما أثبت لها معنى الفسق المجازى ، وأطلق عليها لفظ اللعن ، كما يطلق على الفاسق الحقيقى حكم اللعن الشرعى ، فتشاكل المعنيان لوجود المناسبة بينهما فى الحقيقة بالحقيقة ، وهذا فى المجاز ، ومعناه واضح ، فلا يبين لى وجه رد الحديث ، وتعليل الفقهاء فيه ، ليس بحجة فانهم ذهبوا فيه الى معنى غير المراد به فى القرآن ما دل ، بتصريح اللفظ مثل هذا على جواز المعنى المجازى الذى ذكرناه فى قوله تعالى : (والشجرة الملعونة فى القرآن) اذا كان المراد بها شجرة الزقوم فانه سماها ملعونة باعتبار محلها فقط ، لأنها تخرج فى أصل الجحيم ، مطلعها كأنه رءوس الشياطين ، وأى محل ظهر فى معنى الطرد والبعد من الرحمة من نشأتها فى نار الجحيم ، التى هى أصل كل شر .

ويجوز أن تضاف اللعنة اليها باعتبار ما بها الى ما خلقت لأجلهم ، وهم أهل اللعنة الأشقياء من أعداء الله تعالى ، فلما كانت مقرنة بهم ، كانت بعيدة من الخير ، واذا ثبت هذا فى لفظ القرآن فى الشجرة الملعونة ، ثبت ذلك فى لفظ الحديث فى العقرب الملعونة ، فجاز هذا الاعتبار لمن عرف معناه ، فوضعه فى محله ، ولم يقصد به ما حجره أهل الفقه من اللعن الشرعى ، جاز استعماله بالقياس فيما أشبهها أو زاد فى ضره عليها من حية أو سبع ضار ، لاستواء العلة ، لكن لا ينبغى كشفه لأكثر الناس ، خوفا من وضعه فى غير ما جاز له ، وإنما نبهنا عليه لئلا يدان به ، والله أعلم .

❋ مسألة :

ومنه : وسأل عن معنى ما روى فى الحديث ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من نقمتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وزيد فى بعض الروايات فقيل : « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من نقمتك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك » الى آخره ، قيل : فهل يصح هذا وما وجهه ، وهل يجوز الدعاء به ؟

الجواب :

ان ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يصح فى العدل باطله ، فلا يجوز القطع بأنه ليس عنه صلى الله عليه وسلم ، ولو كان الراوى أو الرافع له من أهل الخلاف فى دينه ، لأنه من تكلف الغيب وذلك مما لا يجوز على حال ، هذا مع ما به من تكلف الخطر ، لأن من رد حديثه صلى الله عليه وسلم بعد ما رفع اليه فسمعه وفهمه ، فان رده من دون تأويل فهو كافر ، وقيل : مشرك ، وان رده بتأويل فهو كافر نعمة ، بلا خلاف نعلمه بين المسلمين ، وان لم يرده ولكن لم تقم الحجة به عليه وهو مما يسع جهله ، فهذا سالم ان اعتقد فى الجملة قبول كلما كان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتقد فى هذا بعينه .

كذلك ان كان عنه صلى الله عليه وسلم وهو الأولى به ان هدى اليه ، وكما لا يجوز القطع بالغيب على اثباته عنه صلى الله عليه وسلم ، من دون صحة شهرة توجب العلم به من التواتر ، الا على معنى ما يجوز من نسبة الحق اليه صلى الله عليه وسلم ، بعد عرضه على كتاب الله تعالى ، فان وافقه فهو عنه ومنه ، قاله أو لم يقله ، كما صح فى الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وسلم ، وكذا ان صح باطله بعد عرضه على كتاب الله ، وجب رده ، والجزم بأنه ليس منه ولا عنه صلى الله عليه وسلم ، اذ لا يجوز أن يقول بالباطل يشهد بذلك كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، واجماع الأمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا اعتبرنا هـذا الحـديث المذكور ، رأيناه لا يخرج من العدل ، فنستجير بهـذا أن ننسب ما به من العـدل والحق ، الا الى رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، وان لم يصـح معنا بشهرة بتواتر أو سـند متصـل ، وان جميع ألفاظ هـذا الحديث ومعانيه ظاهرة ، وانما يتصور البحث عنه كله معنيين فنأتى بهما ان شاء الله تعالى فى مسألتين :

المسـألة الأولى :

فى قوله : « أعوذ برضاك من سـخطك ، وبعفوك من نقمتـك ، وبمعافاتك من عقوبتك » فما وجـه هـذه الاستعاذة بالرضـا والعفـو والمعافاة ، وهى من الصفات والأفعال ، وكيف جاز العدول عن الاستعاذة بالله تعـالى الى الاستعاذة بالرضـا والعفو والمعافاة ، وما وجه ذلك ان قال قائل بجـوازه ؟

الجـواب :

أنه جرى فى مثل هـذا الدعاء على ما عليه عادة العرب ، من الاتيان بمعانى الاستعاذة والتخييل اذا قصـدوا معنى المبالغة فى القول جزالة أو لطفـا ، وانه لمـن أعظم شعب البلاغة ، وأوسع مناهج الفصاحة ، فانه جعل الصـفة أو الفعل كالشىء القائم بذاته ، تفخيما وتلطفـا فى الخطاب ، وتأنقا فى العبادة ، واستمدادا للفيض بذكرها ، وان لم تكن هى المقصـودة بالأصـالة ، ولا المراد بالتحقيق ، وانما المراد والمقصود بذلك نفس الموصـوف بتلك الصـفة لا غير .

ومثل ذلك شائع فى كلام العرب ، مطرد فى أساليب كلامهم ، مشهور فى أعاجيب نظامهم ، لا يكاد يخلو منه شـعر من بلغائهم ، ولا نثر بليغ من فصـحائهم كما قال الشـاعر :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أيا جـــود معـــن ناج معنـــا بحاجتى

فمـــالى الى معـــن ســـواك رســـول

ألا تراه كيف جعل جود معن كالشىء السامع للخطاب ، ثم سأله أن يشفع له الى معن ، ثم زعم أنه رسول اليه ، وأن لا رسول له سواه ، والجود صفة من صـــفات البشر ، لا تصلح لشىء من الخطاب ، ولا تقدر على رد الجواب ، وانما جاء بهـــا على معنى التخيل والتصـــور ، بأن انزلها فى منزله من شـــأنه أن يفعل ذلك لارادة التعظيم لهـــا والتفخيم ، لأن تعظيمها هو نفس التعظيم لمعن ، من حيث نعته بجـــود تلك صفته ، وليس الحقيقة الا أنه يخاطب معنا بعبارة تضمنت الثناء عليه بوصـــفه بجود لا يكاد تدرك صفته بغير هذه العبارة •

فلو قيل : قال يا معن يا ذا الجـــود العظيم ، الـــذى لا يحصى ولا يحصر ، ولـــم يكن بـــه من نظـــرية المديح وغـــرابة المعنى وشـــدة الاختصار ، وهزة النفس له ما يقرب هذا أو يدانيه ، ولكن لا يشرف على بحر البلاغه الا من أمـــده الله بذوق سليم •

وكم على أمثال هذه المعانى قد تتنافج الأدباء وتتنافس الخطبـــاء ، ومازالوا يتألقون فى ذلك ويتدفقون فيه ، حتى جردوا من نفس الكرم كرما ، وجعلوا للشعر شعرا ، وقد افتخرت بذلك شداتهم ، وتغنت بـــه حداتهم ، وكفى بهم فخـــرا بأن ورد بلسانهم العـــذب ، كتاب الـــرب جل ثناؤه ، فتكلم فى العبارة عن نفســـه لمعانى الاستعارة ، بالوجـــه واليـــد والعين ونحوها ، وانه لمنزه عن ذلك باجمـــاع الموحـــدين خلافا للمشبهة المبطلين •

واذا عرفت هذا فاعلم أنه ليس المراد من ذلك الا نفس الاستعاذة بالله تعالى ، وانما ذكر الرضا والعفو والعافية ، فأسند الاستعاذة اليهن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على نحو ما قاناه من ذكر الشاعر ، لجود معن ، واسناد الرسالة اليه بتلك الطريق المعهوده من باب الاستعارة والتخييل ، وفى هذا غاية التلطف ، بل بذكر الرضا والعفو والمعافاة ، وجريا على ما هو المعهود فى أدب الدعاء عند أهل الفهم عن الله تعالى ، بنور الكشف حتى حق اليقين فى اعطاء كل مقام من مقامات الذكر ، ما يختص به من الأذكار المناسبة للأغراض ، ما يدعو الخائف باسمه تعالى : المؤمن المهيمن ، الرحمن الرحيم ونحوهن ، فكذلك فى هذا لما كان المحذور هو السخط والنقمة والعقوبة ، قابلة بالرضا والعفو ، وهما من الصفات ، والمعافاة والأفعال .

وهذا التقابل هو من البديع المسمى فى عرف أهل البيان بالمقابلة ، ومن فهم هذا الأصل العظيم الجدوى الكبير الخطر ، ونظر اليه بحدقة البصيرة ، لا بجفن التقليد اقتدر به على تأول كثير من مشتبهات الآى والأحاديث والآثار ، ولم يشكل عليه ما ورد فى أدعية المسلمين من سلامهم على النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ، وتطوفهم بالبيت الحرام وعرصاته ، فانه بالحق انما يرجع فى الأصل الى معنى فرد ، فانها انما تسقى من الماء واحد .

ولكن أين المنصف الناظر فى هذه المعانى وأمثالها ، حتى يطلع على دقائقها ، فكيف يلام على هذا محمد بن عبد الوهاب أن غربت عليه مثل هذه الغرائب ، فلم يهتد الى ما وراء ظاهرها من العجائب ، حتى أبطل بزعمه زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ، والتسليم عليه ، والتشفيع به لدعواه ، ان ذلك خطاب للأموات وهو شرك لا يصح فى قوله .

وان هذا القائل لقصور النظر على ظواهر الأمور ، لا ينظر الى وراءها لعدم النور ، فقد تعاطى من القول فى الله أكبر وأدهى من ذلك وأكثر وأمر ، ان لم يكن عنده من العلم ما يخرج به عن دائرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التشبيه والتجسيم ، فأثبته شخصا مرئيا فى الآخرة ، ذا وجه ويد وعين ، فأنى له بالقدرة على تمييز مثل هذه الألفاظ والمعانى ، فيعرف ما المراد بها ، ومن أين يأخذ وجوهها .

ولهذا افترى أكثر العوام ممن تقرب طبقته فى الأفهام ، يلتبس عليهم الأمر بتلبيس ذلك عليه ، حتى انهم ليكادون يشكون فى المجمع عليه من جواز زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه والتشفيع به ، وهذا ما لا شك فى جوازه ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن زار القبور وسلم على أهلها وقال : « من زارنى ميتا كمن زارنى حيا » وقد أجمعت الأمة على ذلك ، فخلاف المخالف دينا ليس بشىء ، وتوجهه إما من حيث اللغة ، فالشائع فى لسان العرب تحية المنازل والديار ، وتعظيما لساكنيها كما قال :

حى من أجل أهلهن الديارا

وابك هندا لا النوى والحجارا

ولم يكن المراد من ذلك نفس خطاب الأحجار ، ولا تحية المياه ولا الأشجار ، وانما هو لمعنى أدق من ذلك وأغرب ، وما ذلك إلا نفس اظهار العناية بموافقة المحبوب ، فيمن يجب فيحبه لمحبته ، ويعظمه بتعظيمه ، وايراد الخطاب بالتحية على سبيل التلطف من باب الاستعارة التخيلية كما قدمناه ، وقد صرح بهذا المعنى من قال شعرا :

أمر على الديار ديار ليلى

أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى

ولكن حب من سكن الديارا

ولو لم يكن فى زيارته صلى الله عليه وسلم ولا فى السلام عليه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معنى غير هذا لكفى وجاز ، وكان التعظيم لـه من نفس تعظيم الله تعالى سبحانه .

أفليت شعرى اى شرك فى هذا ، وأى كفر به ، ان هو إلا نوع حق فى نفسه ، شائع لمن أتاه على وجهه ، ولكن دقت مبانيه ، ورقت معانيه ، فغرق فى بحره من قنع بمذاقه بقشره فهذا .

وأما من حيث الشريعة فشاهده الحديث كما قلناه ، والاجماع كما أصلناه ، وكفى بهما عن المزيد ، لمن كان ذا عقل من العبيد ، وقد أطرد بنا القول فى هذه المسألة الى أن خرجنا عن المقصود ، فلنرجع اليه ان شاء الله تعالى فاستمع :

المسألة الثانية :

فى قوله صلى الله عليه وسلم : « وأعوذ بك منك » قيل فهل يجوز أن يستعاذ من الله تعالى ، وهل يصح ذلك فى عقل أو نقل .

الجـــواب :

نعم أن هذا قد يصح فى التأويل من وجهين :

أحدهما : أن يقدر له مضاف محذوف ، فتقديره أعوذ بك من غضبك ، ومن شدة بطشك ، وأليم عذابك ، وما يجرى مجرى ذلك ، وانما حذف ليتناول كل ما يمكن تقديره ، وهو كلما جاز أن يستعاذ منه .

ولعمرى ان حذف المضاف شائع شهير ، فلا يحتاج معه الى أن يحتج له فهذا الوجه الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وثانيهما : أنه لما استعاذ من السخط والنقمة والعقوبة ، انكشف له بنور النبوة أن تعديد عقوبات الله تعالى وغضبه ، ومكره واستدراجه ، وشدة بطشه ، أنه لا سبيل الى استقصائه بالتفصيل •

واعلم أن حقيقة الخوف لا يكون إلا من الله سبحانه وحده كما قال فى كتابه المحكم : (ويحذركم الله نفسه) قال : مالى وللأفعال والصفات ، فرجع عنها الى خطاب الذات ، فقال : أعوذ بك منك لا مخوف سواك ، ولا أخشى شيئا بالحقيقة إلا إياك ، وهذا هو الأليق بمقامه صلى الله عليه وسلم •

ألا ترى من حضر عند بعض الملوك وهو من أهل الجرائم ان سأله العفو عن القتل بالسيف ، أو الضرب ، جاز أن يعاقبه بالقيد أو التعريف أو السجن والهدم ، والتحريق وغيرهن ، ولو سأله بالتفضيل ما أمكن أن يسأله لجاز أن يكون فى علم الملك شىء من ذلك لا يعرفه هذا السائل ، ولا يهتدى اليه الا اذا سأله الأمن منه ، فيه يرتفع كل مخوف ، ويندفع كل محذور ، يتوقع من تلك الجهة ، ويشهد بهذا ما أردفه به صلى الله عليه وسلم من قوله : لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك •

فانظر كيف ترتب هذا الدعاء الشريف ، على نسق البلاغة ، التى لا يكاد يدركها غيره صلوات الله عليه ، فان رأيته بالتفصيل : « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من نقمتك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك » ثم لما كان المعنى غير مستوعب الأصناف ما يستعاذ منه ، أردفه بجملة لم يترك معها مقالا لقائل فقال : « وأعوذ بك منك » ثم استضعف نفسه وسؤاله ، فرتب عليه مع الاقرار بالاعتذار قوله :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا أحصى ثناء عليك ، ثم غاب فى حضرة قدسه ، عن شهود نفسه ، فاستغرق بمعبوده ، فى دهشة شهوده ، فقال : أنت كما أثنيت على نفسك •

فانظروا فيه بعين الاعتبار ، تجدوا فيه من حسن معانيه ، وفصاحة ألفاظه ومبانيه ، ما يكاد يحير فيه العقل ، ويقصر عن شرح بعضه النقل ، والله لو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، والملائكة والجن والانس ، وجميع الثقلين ، يكتبون تفصيل هذه الجمل العظيمة ، فى مدة عمر الدنيا والآخرة ، لعجزوا وأقروا بالاعتراف أنهم وقوف على ساحل بحرها المحيط ، يغترف منهم كل ما أفاضته عليه يد المنعم الكريم •

أفليس فى هذا كله ما تصدع به لسان حاله ، فينادى معلنا بمقاله ، أن مثل هذا الغريب أن يصدر إلا عنه صلى الله وسلم ، فانه من جنس المعجزة التى أنعم الله بها عليه ، فسبحان من آتاه جوامع الكلم ، واختصرها له اختصارا ، والحمد لله رب العالمين •

أفإن قلت : أفليس قد يوجد فى شىء من الآثار أن فى هذا الدعاء ما لا يصح لعدم جوازه ؟

قلت : بلى ، وانه لقول ، وفى ظنى انما ورد عن قائله من غير تأمل فيه ، اذ لا نجد فى المعدل ما يؤيده فكيف يصح القول من غير ما دليل عليه ، ولا سبيل اليه ، ولكنا لا نخطىء من قال بغير ما نراه ، وليس ما وجد فى شىء من الآثار يكون اجماعا أو دينا لا يجوز خلافه ، وانما هو قول فيه النظر لأهله ، ان كان عدلا أخذ بدله ، والا فلابد أن يرجع به الى أصله ما لم يكن من الأصول التى لا يجوز النظر فيها ، وليس ذلك فى شىء منها ، وكفى بنفس الحديث حجة على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تضعيفه ، مع بيان صحة الحديث ، وظهور كماله وتشريفه ، والحق أحق أن يتبع ، ممن جـاء به ، وعلى كل أن يتحرى العدل لنفسه •

فلينظر فيما ذكرته من هـذا وغـيره ، ثم لا يقبـل الا العدل ، والله أعـلم •

*** مسـألة :**

ومنـه : والذى يقرأ فى تأليف قومنا وآثارهم ، ويجـد مكتوبا : فلان بن فلان رحمه الله ، وكذلك اذا نسخ آثارهم ، ووجد فلان بن فلان رحمه الله ، أينسخه كما وجده رحمه الله ، أم يحذف لفظة رحمه الله ؟ تفضل دلنا على طريق السلامة فى هذا ؟

الجـواب :

يقرؤه ويكتبه كما وجده ، وما عليه ملامة ، وهو الصواب وفيـه السـلامة ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنـه : واللغ يؤمر بقتله ان كان يصح منـه أذى فى المسـاجد ، لأجل أنها ضرورة منه لها ؟

ويرفع فى ذلك حديثا عن النبى صلى الله عليـه وسلم بجـواز قتله ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنـه : وقد يوجد فى بعض الكتب فى الحديث النبوى : « من هداه الله الى الاسـلام وعلم القرآن ثم شكى الفاقة — نسخة الفائت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جعل الله الفقر بين عينيه الى يوم القيامة ثم قرأ الآية : (هو خير مما يجمعون) » فلم أعرف تأويل شكى الفاقة — نسخة الفائت فتفضل علينا ببيان ما بان لك من صفة هذا الحديث ؟

الجواب :

الفاقة الفقر ، والفائت لا معنى له ، وأظن الحديث هكذا من غير حفظ للفظه نصا ، والله أعلم .

❊ مسألة :

ومنه : يوجد من بعض الكتب فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « توبوا فانى أتوب الى الله فى اليوم مائة مرة » وفى حديث عنه صلى الله عليه وسلم : « انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة سبعين مرة » وهذا مع قوله تعالى : (ثم تاب عليهم ليتوبوا) .

يستدل على صحة قول الناظم ، وقد يوجد فى كتاب روض الفائق : « انه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله كذا وكذا مرة » أى يغطى على قلبى ، ويطبق عليه اطباق الغين وهو الغيم ، يقال غينت السماء تغان ، والفعل مسند الى ظرف ، وموضعه رفع بالفاء عليه ، كأنه قيل ليغشى قلبى ، والمراد ما يغشاه من السهو الذى لا يخلو منه البشر ، والله أعلم .

❊ مسألة :

ومنه : ومن تزوج امرأة فدخلت عليه ما الذى ينبغى له أن يقوله من الحمد والشكر لله ، بما من به عليه من فضله ؟ فتفضل على اكتب لى لفظا موجزا أقول به ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

قد يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أهديت اليـــه امرأة من نســـائه فأخذ بناصيتها وقال : « اللهم انى أسألك خيرها وخـــير ما جاءت به وخير كل ذى خير ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جاءت بـــه ومن شر كل ذى شر » فهـــذا ما قاله النبى وكفى بـــه اقتـــداء بـــه ، والله أعـــلم •

❊ مســـألة :

ومنـــه : وما تقول فى هذه الرواية التى تروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عفى عن أمتى الخطأ والنسيان وما حدثوا بـــه أنفسهم وما أكرهوا عليه » ما معنى هذا ؟

الجـــواب :

معناها لا اثم عليهم فيما وقـــع من هـــذه الأشـــياء الأربعـــة ، والله أعلم •

❊ مســـألة :

ومنـــه : وفيمن نفسه تكره فعل الخير ، ويثقل عليها فعـــل ما خرج عن اللازم من صـــلاة وصيام وضيافة ، وقضـــاء حاجات المســـلمين ، فما الحيلة فيها لتطيب بفعـــل ذلك ؟ وهل للانســـان ثواب على فعـــل ما لم تطب به نفســـه ، أم ليس لـــه ثواب الا على ما كان منـــه من طيبـــة نفس ؟

أرأيت ان فعل معـــروفا من ضيافة أو قضـــاء حاجات المسلمين ، أو أمـــر بمعروف أو نهى عن منكر ، وكان منـــه فعـــل ذلك فى بعض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الناس من حياء ومدارات ، وفى نيته يفعل ما ذكرت لله تعالى الا أن نفســـه تطيب بفعل ذلك لعموم الناس ، فهل يؤجـــر على ذلك أم لا ؟

الجـــواب :

نعم يؤجر على ذلك ان كان من المتقين ، وما أكره المـــرء عليـــه نفسه لوجه الله تعالى ، فهو من جهادها ، وفى ذلك أعظم الأجر له ان أراد به وجه الله تعالى •

*** مســـألة :**

ومنـــه : وفى الحديث المسنود ، وفى الكتب موجود ، كاد الفقر أن يكون كفرا ، تفضـــل بين لنا معناه ، لأنه أشكل على ؟

الجـــواب :

ان ثبت الحديث فمعناه أنه ليس يكفر ، ولكنه يقرب من ذلك ، وتقريبه من وجوه :

أحـــدها : أن الفقير المعيـــل تلجئه الضرورة الى الاحتيـــال على أموال الناس بالدين فى الظاهر ، لـــكن من حيث لا يرجـــو وفاءه لسبب يعلمه ، وربما ألح عليـــه الغريم ، فكان سببا للمطـــل أو الجحـــد ، وفى ذلك فى غير موضـــع جوازه ظلم للعبـــاد ، وهو نوع كفر •

وثانيها : ان لم يتيسر ذلك ربما قصد فى حق من يلـــزمه عوله ، وفى هذا نوع ظلم أيضا فى غير موضع العذر •

وثالثها : ربما كلفه ذلك الى المعاملة الفاسدة ، والتجارة المكرهة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والبيوع المعيبة الضائعة كما لا يحصر ، وان لم تكن تعمدا ففى اجتماع الجهل والضرورة شر كبير .

ورابعها : ربما أدى به ذلك الى أخذ الأموال المشبوهة ، والمشكوك فيهـا ، فيطلب الرخص ويتستر بما أمكن عن صريح الحرام ، ولو بمثل نسـج العنكبوت ، فيـدع الورع ، ويدع الزهـد ، ويعتـل فى ذلك بالضرورة ، وفى هذا انحطاط منزلة لا تخفى .

هذا فى حق أهل الدين ، ومن يتسمى بالفضـل ، دع من سواهم من أهل الجهالة ، والمتسمين بقلة المبالاة ، فربما يسـاق أحدهم ذلك الى السرق والكسب والنهب ، والبيع بالربا وغيره ، ولمـا لم تكن هذه الوجـوه من لوازم الفقر فى حق الجميع ، لم يقـل : انه كفر ، فقـد يكون الفقر فى الأنبياء اصطفاء ، وفى الأولياء ابتـلاء ، ليكمل لهم بـه عظيم الأجـور ، وينالوا به المنـازل العلى من الله الشكور .

فلا كلام فيمن كان بتلك المنزلة أصـلا ، وانما يتوجـه الخطـاب الى من كان فى أمره غير قوى فى بصره ، على ما يكون من أمـره ، فيؤديه ذلك الى هلع فى باطنه ، لعدم القنـوع ، وكلفة فى ظاهره ، يتعاطى بها ما يدينـه من حريم الممنوع ، لضرورة ملجئة ، وحاجة مدقعة ، لا يجـد منها المخرج الا بذلك ، فهو يتردد هنـالك ، يرعى حـول الحمى ، ويأنف ما يتعاطاه أهل العمى ، من عمـل المحجـور ، وتعاطى المنكور ، والفقر فى حق هؤلاء الكفرة الفسقة الفجرة نوع كفر وطريق وزر ، خسروا به الدنيا والآخرة جميعا أعاذنا الله من ذلك .

❊ مسـألة :

ومنـه : ومما يوجـد فى بعض الكتب ، حديث قاله رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ان الجنـة حفت بالمكاره ، وحفت النـار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالشهوات » فتفضل علينا ببيان ما بان لك من تأويل هذه المكاره والشهوات ، التى حفت بها النار والجنه ، ويوجد عنه أيضا صلى الله عليه وسلم : « ألا ان الجنة حزن بربوة ألا ان النار سهل بشهوة » تفضل علينا بتفسير هذه الأحاديث ؟

الجـــواب :

الشهوات التى حفت بها النار مثل : الظلم والسرق ، والغصب والزنى ، والقتل وجمع الحطام من الحلال والحرام ، من بيع الربا وغيره ، مما تحبه النفوس ، ويحجره الشرع .

وأما اكاره التى حفت بها الجنة ، كاكراه النفس على بذل الأموال فى الزكاة والصدقة ، والخلاص من المظالم ، واجتناب الفواحش التى تدعو اليها النفس ، ومن ذلك اكراهها على الجوع والعطش فى الصيام ، وعلى غض البصر ، وعلى الخروج من الأوطان للحج والجهاد وغيره ، مما يطول ذكره ، وكفى بهذا لمن عقل وفهم ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : يروى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار » قلت له : ما معنى هذا الحديث ، وعلى أى وجه يحمل ؟

قال : الله أعلم ، وهو أنا من حيث اللغة فيقال : مثل له بفتح الثاء المثلثه فى الماضى ، وبضمها فى المضارع مثولا ، اذا انتصب له قياما وفى رواية أخرى حكاها جار الله الزمخشرى أن يصفن الناس له بالصاد المهملة ، والفاء والنون والصفون والمثول سواء فى المعنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والوزن ، ومعنى « يتبوأ مقعده من النـار » رأى يتخـذ له منهـا مقعدا يستوطنه بها ، ومنه قوله تعالى : (تبوءا لقومكما بمصر بيوتا) وقوله تعالى : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) وهو صريح بأن من سره ذلك فهو من أهل النـار .

قلت له : فمعنى هذا الحديث فيمن يخرج وعلى من يطلق ؟

قال : الله أعلم ، وفى الظاهر أنه يتناول الحالة التى عليهـا أهل الكبر والجبروت ، والتعاظم والاستعلاء على عباد الله تعالى ، فى هيئاتهم ومجالسهم ، كما عليه ملوك الأعاجم وغيرهم من الجبابرة ، لأنفة أنفسهم الشامخة من مشاركة الناس فى الهيئة ، فلا ترضى الا بالانتصـاب قياما بين أيديهم ، مظهرين ذل العبودية لهم ، فلو أن أحـدا جاس قبل الاذن له لعدوه من الكبائر التى لا تغتفر ، وأذاقوه عليهـا من أليم العذاب ، ما ليس عليه مصطبر ، فهذه الحالة هى التى يستأهل أن يتوعـد عليها ذلك الحديث المبرطم بغضب الله وعذابه .

قلت له : فمن قدم على أخ له فى دين ، أو صاحب فى دنيا ، فقـام له محبة وتكريما ، هل يشمله هذا الوعيد ، أفلا تخبرنى به ، فانى من ذلك فى خوف شـديد ، وعسى أن تفرج عنى هذه المعضلة ، فانى أراها من المسائل المشكلة ؟

قال : قد اختلف الفقهاء فى ذلك :

فقال بعض : بشمول الوعيد هنالك ، لأن القادم ان سر به فهـو هالك بظاهر الحديث ، وان لم يسربه فهـو عمل لا طائـل تحتـه ، فلا يؤجـر عليه ، وفيه فتنة للقـادم ، وتعريض بـه للهلكة ان لـم يتداركه الله بعصمته ، وكان لـه عن ذلك مندوحة بتركه ، فلا تخشى فى الدين غائلته ، وقد يحتج لصاحب هـذا القول بما يروى عن بعض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصحابة ، كنا لا نقـوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما نعلم من كراهيته لذلك ، واذا كان هو فى جـلالة قدره ، وعظيم شأنه ، كذلك فى تركهم للقيام له ، فما ظنك بغيره •

وقال آخرون : اذا احتمل القادم السلامة من حب القيام لـه ، لم يحرم ، لأن الوعيد انما ورد فى السرور بنفس القيام لـه ، لا فى القيام نفسه ، والمؤمن يحمل على حسن الظن به ، ولكنه موضع خطر ، فينبغى التحرز منه ، وهو قريب من الأول •

وفى قول ثالث : ان الحديث مخصوص بالوجه الأول الذى فسرناه به ، فلا يشمل كل قيام ، ولا يتناوله ، ولأمر ما نرى علمـاء الأمـة وكبراءهم وأفاضلهم ، لا يتاحشون من ذلك ، ولا يتمانعونه ، وانمـا يرونه كرما فى الأخـلاق ، وبرا بالاخوان ، ومرضاة للرحمن ، وربمـا يتركه المتكبرون ، ويتعاظم عنه الجبـارون ، ويأنف منـه المبرطمون ، اذ لم يتمرنوا على مكارم الأخـلاق ، وهذا هـو المذهب الصحيح ، والحق الصريح ، وعليـه استقر العمل ، وأطبقت الفقهاء ، وحتى أنهم ليتلقون القادم بالاكرام والترحيب من مكان بعيـد فضـلا عن نفس القيـام •

كما يروى عن يوسف عليـه السلام ، أنـه تلقى أباه يعقـوب عليه السـلام ، عند قدومه وذلك شائع ، وقـد ثبت التلقى والقيـام للتحية معا فى حديث الهجرة ، عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، كمـا هو فى صحيح البخـارى ، قال : فتلقـوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحـرة ، فعدل لهم ذات اليمـين ، فنزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك فى يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر . انتهى ما أردناه بلفظ من حديث طويل .

فقد رأيت أن أهل المدينة قد تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رأيت أن أبا بكر قام للتحية فهو من أوضح الأدلة ، على جواز القيام للقادم والمحيي والزائر ، ولا يمنع من التلقي له مع ذلك أيضا ، لما ثبت من جواز التلقي للقادم في هذا الحديث الصحيح ، وليس في ترك القيام له صلوات الله عليه دليل على حجره ، اذ لا قائل بأن الرسول صلوات الله عليه قد حجره عليهم ولا منعهم منه .

والظاهر أنه لما كان صلى الله عليه وسلم كثير التواضع ، عظيم هضم النفس ، شديد التوطن على ذلك ، لكونه على خلق عظيم لا يزاحمه فيه غيره ، وقد عاموا بمحبته ، لذلك تركوا القيام له ايثارا لحبه التواضع ، لأن المرء يكرم بما يحب ، واذا كانت محبة الرسول لذلك منهم ، فهو الأفضل في حقهم ، وهي الأعظم في منزلتهم عند الله تعالى .

وليس في ذلك دلالة على المنع ، كما ترى وبه تعرف ان شاء الله ، أن القيام كغيره من الأعمال ، قد يكون بحسب النيات والعوارض مع اختلاف مواضعه ، فاضلا ومفضولا ، ومكروها ومحجورا ، وشرح ذلك كله يعرف بالقواعد الفقهية ، والأصول الشرعية ، فلا حاجة الى بسطه ، اذ ليس الغرض في هذا المقام الا ازاحة هذه الشبهة ، وقد ارتبك فيها كثير من الناس ، ولم يقدروا على الخروج من هذا الالتباس ، حتى توقفوا عن القول في هذا الحديث ، لما رأوا اطباق الأمة على ذلك في العمل من قديم وحديث ، فأحببت أن أوضح ما عندي فيه في هذا السؤال والجواب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والله نستهديه ونستمده الارشاد الى الصواب ، بفضله وكرمه ، والحمد لله رب العالمين •

❋ مسألة :

وما معنى الحديث الذى يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال العبد يتقرب الى الله حتى يخدم » تفضل لخص لى معناه ، ولك الأجر ان شاء الله ؟

الجواب :

لا نحفظه من الحديث ، فمعناه يشبه معنى ما قيل : من أطاع الله أطاعه كل شىء وأطع الله يطعك كل شىء ، فيخرج معناه انه لعظيم منزلته عند الله ، يتسخر له طائفة من عباده ، يتقربون اليه بكفايته وخدمته ، على قدر مقامه ، فان شاء قبل ، وان شاء ترك ، وهذا ظاهر ، وكأنه على الظاهر فقل من ترى من أكابر الدين ألا تراه كذلك •

❋ مسألة :

ومنه : هذه المسألة ليس موضعها هذا الباب ، ومن حضر اسماع قراءة شىء جائز من قارىء فى حضرة ناس أكثرهم يخلطون هزل الكلام بالسفاهة ، وهو كاره ذلك منهم ، ولا يقدر يمنعهم يأثم ذلك اذا نوى باجتماعه بهم ، لأجل فائدة فى دينه أو دنياه أم لا ؟

الجواب :

ينبغى له أن ينزه نفسه عن مواقف التهم ، ومجالس الاثم ، ولا يسعه غير ذلك إلا بعذر ان كانت تلك المجالس مما يظهر فيها المنكر ، وان كان دون ذلك ، فعلى مقتضاها يكون الجواب •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسـألة :**

فقهية فلا بأس فى ايرادها بهذا المحـل اتماما للنعمة ، ان قيل : قد ورد فى أول هذا الفصـل قوله : بحق محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل هذا جائز فى الدعاء ، وما فيـه من قول الفقهـاء ؟

الجـــواب :

قد اختلف أهل الفقه فى اجازه مثل هذه المسألة ، وما جـاز أن يختلف فيه ، فلا يخطىء قائله ولا فاعله اجماعا ، لأنـه من الجـائز فى رأى من أجـازه من المسـلمين ، وكم لك من مستعمل شـائع وهـو فى الأصـل من المختلف فيه ، على أن كشف وجـوه هذه المسـألة ، لم نجـده بالتفصيل فيما عثرت عليـه من آثار أهـل العلم والفضـل ، وانمـا تواردوه بالاختـلاف على ما فيـه من اجمـال من دون تصريح لجميع محتملاته ، حتى تظهر جلية الحق المبين ، فيراه المتصف بعـين اليقـين ، وما ذلك مع حسن الظن بهم لقصـور علمه ، ولا تخليط فى حـكم ، ولكن ايراد المجمـل فى الأثر غير بدع ولا مستنكر ، ولا يتوصل الى معـرفة الحـق فيه إلا بايضـاح معانيه ، ولا بلـوغ الى هـذا إلا بتحليل كلماته ومبانيه .

فأقول : أولا : ان باء الجـر قـد تـكون لمعـان هى القسـم ، والاستعانة ، والسببية ، والالصـاق ، والظرفية ، والزيادة ، والتعدية ، والتعويض ، ومشاكلة من وعن ومع فى معناها ، ويعـرف محل كل منها وموضعه بدلالة المعنى عليه ، واذا احتمل الوجهان فما فوقهما كان لكل وجـه ما يقتضيه من حكم ، فالحكم على أحدهما بموجب الآخر باطل بالجـزم ، لا يصـح فى العقل ولا فى النقل ، اذ لا يجـوز الحـكم بالعموم فى موضع الخصوص ، والألفاظ صور قائمة ، والمعانى أرواحها ، فما وقوفك على الأشباح ، مع خلوها عن الأرواح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أم تظن بنفس اجتماع الحروف والكلمات ، بمجرد تأليف اللفظ يتبدل الحكم عليه ، كلا والله وانه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، انما يحكم على مبانيها بصريح معانيها لا غير ، ولاختلاف الفهوم فى مثل هذه المسائل ، وردت الاختلافات بين أهل الحق ، فكل عبر عن معنى فهمه ، وهو الحق فى حقه ، والحزم جمع الوجوه المحتملة فيه وفرز بعضهما عن بعض ، فهو الجواب الكامل والصواب الشامل فاعلم ان الاختلاف فى المسألة من وجهين :

أحدهما : من حيث لفظة حق فقيل : **أن لا حقَ على الله لأحد** من خلقه البتة ، وقيل : بجوازه على معنى أن حقه عند الله تعالى هو حرمته وشرفه لديه ، وتعظيم منزلته وتفخيم مكانته وجلالة قدره ، فذلك حق على الله وحق على الله أن يفعل ذلك له ، كما ورد فى الحديث : « ان حق الله على عباده أن يطيعوه ولا يعصوه وحقهم عليه أن يدخلهم جنته » أو نحو هذا من القول .

وكيف يصح باطل ذلك وهو القائل جل شأنه : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فاذا جاز أن يكون نصر المؤمنين حقا عليه ، فكذلك ادخالهم الجنة حق عليه ، وكذلك تعظيم منزلة النبى صلى الله عليه وسلم حق عليه ، فان ثبت أن ذلك حق عليه ، فكيف لا يجوز التوسل اليه بما هو عظيم عنده ، أليس هو القائل : (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك) وقد استقر الاجماع على ثبوت التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ، والتشفع به وبالأنبياء وبالملائكة المقربين صلوات الله عليهم ، وبالأولياء رضوان الله عليهم ، كما ورد عن الخليفة الثانى رضوان الله عليه ، اذ أخذ بيد العباس رحمة الله عليه مستسقيا به ، ومتوسلا الى الله تعالى بقرابته من النبى صلى الله عليه وسلم ، فى ملأ من المهاجرين والأنصار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولازالت الأمة كذلك خلفا عن سلف ، أليس فى ذلك أسوة حسنة لمن يرجو الله واليوم الآخر ، أو ليس فى هذا ما يدفع بالحق ما لفقه من الباطل محمد بن عبد الوهاب الأزرقى من تشريكه لأهل القبلة بهذا النوع ومثله ، حتى صرح بأن زائر قبره ، والمتشفع به صلى الله عليه وسلم داخل فى حيز الشرك ، مع ثبوت ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم فى زيارة قبر أمه ، فكيف به فى قبره ، واستقرار ذلك على عهد الصحابة ، والاجماع من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

فهل يرضى بنهج غير سبيل المؤمنين ، إلا من كان قائده العمى ، ودليله الهوى ، ومعاذ الله من البلا ، وليت شعرى أفى العقل السليم ، أم النقل القويم ، ما يمنع منه فيدفع ، بل الآخر آفات لا يلتفت اليها ، فلنرجع منها الى خير منها فنقول : اذا ثبت جواز هذا اللفظ كما أصلناه ، فلابد من كشف معناه ، لتصحيح العقيدة ، ودفع اللبس ، ورفع الاشكال .

فاعلم أن قول الفقهاء أنه لا حق على الله تعالى لأحد من خلقه هو قول صحيح بظاهر مفهومه ، لأن الحق فى عرفهم هو الواجب لزوما ، والله تعالى منزه عن الالزام والايجاب ، وقد يكون الحق بمعنى الدين بفتح الدال ، وذلك غير جائز أيضا ، وقد يكون بمعنى نقيض الباطل ، ولا موضع له فى هذا المحل ، فكان غير جائز على كل تقدير من هذه الوجوه ، وعسى أن لمثل هذه الاعتبارات قيل بما فيه .

والصواب أنه وان كان لا لزوم عليه فى شىء سبحانه ، فانما الحق فى قوله عبارة عن كونه ما قاله أو وعده حتما مقضيا لا غير ، كما قال : (وعدا عليه حقا) (ان كان وعد ربنا لمفعولا) (١)

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(وكان على ربك حقا مقضيا) فكله سواء ، وانمـا قطع النظر فيهـا عن أصل الوضـع لعدم اللابس اكتفـاء بقـرائن قواعـد التوحيد ، ولولا ذلك لمـا جاز وصف الملك الحق بأكثر صفاته التى لا يوصـل الى فهمهـا إلا بالألفاظ المستعملة فى خلقـه ، وباجمـاع الموحـدين المحقـين أن ينقلهـا الى صفة الله تعـالى ، ينتقل عن أصـل وضـع معناها ، الذى ثبت فى الخـلق ، فليس السـمع كالسمع ، ولا البصر كالبصر ، وهلم جرا الى غيرهما •

واذا ثبت هذا مع جوازه بالاجمـاع ، واستقراره بالكتاب ، وسنة النبى الوهاب ، فكيف لا يرد اليـه حـكم ما اختلف فيـه من أمـر التوحيد ، مع استقرار الاجمـاع برد كل فرع الى أصله ، أو ليس هذا من ذلك ، بلى والله فهـل تجحد الشمس فى كبد السماء ، أو ليس هذا بالحق ، قالوا بلى فما وجـه الجـدال بعد كشف الصـدق فى المقال ، أو ليس هـذا بما فيه من البرهان ، كالظاهر للعيـان ، فكيف لا يصح فى لفظة حق أن يكون القول بالتفصيل ، على ما فى مثله من التأصـيل ، فانى لا أعرف غير ذلك فى الحق ، ولا بأس على متكلم أن يأتى من القول بما فتح له •

وانما هى نعمة الله يجريها على لسـان من شاء ، وعلى ما جـاز من وجـه فى لفظة حق محمد صلى الله عليه وسلم ، فدخـول البـاء عليها فى الدعاء لابد فيه من أن تكون بمعنى القسم أو غيره ، فان كانت لمعنى القسم فنقول فيه بالمنع رأيا نستنبطه على قياد قول من أطـلق المنـع فيها ، لأنه دال على ترك الاحترام بين يدى رب العزة تعالى ، لأن القسم عزيمة على الفعل ، وذلك مما للسيد على عباده ولا عكس ، ولا أرى فى ذلك وجها يتجه ، اللهم إلا أن يخـرج له فى معنى التأويل وجـه فى الحق لم أهتـد اليه •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما اذا كانت الباء للسببية والاستعانة ، فلا معنى للمنع ، ولا وجه إلا الجواز ، وليس معنى الاستعانة فى هذا المقام إلا التوسل الى الله تعالى بحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فى استجابة الدعوات ، ورفع الدرجات ، وتفريج الكربات •

وقيل : ان الباء للالصاق فى جميع الحالات ، وعلى هذا فلا مانع من الجواز أيضا •

وأما تقديرها لمعنى التعدية أو التعويض ، أو الظرفة أو الزيادة أو ما سواهن من الوجوه المعدودة ، فلا يصح فى اللفظ ولا المعنى ، فلا كلام عليه فى هذا المحل ، ولا بأس أن نذكرها هنا على سبيل الاستطراد أن الاختلاف فى هذا فالاختلاف الموجود فى نحو : ارحمنا برحمتك ، وعلمنا بعلمك ، ونجنا بقدرتك ، وما يشاكل هذا

والجواب فى هذه لابد من التفصيل فيه كالتى من قبلها ، وعلى تلك الوجوه الصحيحة ، فنذهب الى جوازه ، أو لا تسمع فيه : (ونجيناهم برحمة منا) فأى فرق يسوق لمن رام القول به ما بين : نجنا برحمتك ، وبين نجيناهم برحمة منا ، وكذلك فى سائر الألفاظ ، أم تراه جائزا إلا أن أحدهما بلفظ الخبر ، والآخر بلفظ الدعاء ، والمتعلق بهما واحد ، ولا دليل على تخصيص المتعلق به ، أم يجوز التخصيص لشىء ، واخراجه عن أصله ، والحاقه بحكم آخر من دون ما حجة وبرهان ، ولا دليل بسلطان •

أفليس فى جواز أحد اللفظين ما دل على اجازة الآخر ، ولو قلنا بجوازه لثبوت النص فيما يشبهه ، لكان فى الاجماع ، ما يكفى عن النزاع ، فكيف لا أقول إلا أن أحدهما عين الآخر ، فلا يشبه الشىء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بنفســـه ، ولا ينبسط له حكم غير ما ثبت فى ذاته ، فما هو إلا كالجســد الواحـــد بما فيه من الأعضـــاء التى هى من بعض كله •

وأصرح من هذا كله وجودها بالنص فى الدعـــاء من كتاب اللـــه تعالى نحـــو : (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) (وان هـــذا لهو حق اليقين) فلا أدرى ما سبب الخـــلاف من بعد ذلك كله بين الفقهـــاء الأســـلاف ، فى هذا ومثله ، اللهم إلا أن يكون لدفع عقيدة فاســـدة ، كالقول بأن رحمته هى هـــو أو هى غيره ، فهذا مخصـــوص فساده بمن اعتقد غير الحـــق فيـــه وليس بداخل بمفسدة على اعتقـــاد فى الدين ، ثابت على الحق المبين ، وأن من عرف معنى ما يقول ، وفتح الله البصيرة فى العقـــول ، فأفكر مليا ، وأبصر الحق جليا ، فما عليـــه أن يمضى على حاله على بصـــيرة من مقاله ، فيقول فى مثل هذا باطراد ، فان الاختـــلاف فى هذه كالاختلاف الشائع فى أسألك بأســـمائك ، على أن الجـــواز المبيح ، هـــو المذهب الصحيح ، ولو لم يسمع فى مثله بشىء يصح أن يشبه به فيقاس عليه ، لكان فى الوجوه السابقة ما يستدل به على الجواز فى غير معنى كـــون البـــاء للقسم ، فكيف وفى قوله تعالى : (فادعـــوه بها) ما يـــدل على جوازه ، لأن السؤال هو الدعاء ، والدعاء هـــو السؤال ، وما جـــاز فى المفسر فلا مانع من جوازه فى التفسير •

وفى الاجمـــاع أن ما أشبه شيئا فهو مثله ، أو مشـــابهة أعظم من تشـــابه لفظين مستويين فى المعنى ، تعلق بهما حرف واحد لمعنى واحـــد من معانى الجر الشهيرة ، وأولى ما به أن يكون بمعنى الالصـــاق كمـــا قيـــل فى بـــاء البسملة ، ويجـــوز على قـــول آخـــر أن يـــكون لمعنى الاستعانة •

وبهذا المعنى الأخير يقول الشيخ ناصر بن أبى نبهـــان ، ويرفق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن أبيه ، كما عثرت عليه من قول من يؤمن به فى الرفيعة على مثله ، ينسبه الى الشيخ المذكور ، أفيصح المنع على هذا بلا حجة توجبه ، ولا سلطان حق يؤيده ، فيترجح به فى مجرد القول كما هو موجود فيه .

فان قلت : أفليس فى أقوال المسلمين الثابتة عنهم ، ما يدل على ما سبق من الاختلاف فيه ، فانى أراك كثيرا ما تتحامل على توهين ما ثبت فيه من القول ، ولا سبيل الى بطلانه ؟

قلت : ان الحق أحق أن يتبع ، وليس فى أقوال المسلمين ما يدفع لغير دليل فيمنع ، ولسنى الآن بمعترض فى ذلك على أهل الفضل فيما قالوه من العدل ، وانما تحريت الصواب فى تفصيل مجملها ، وبيان الحكم فى مفصلها ، والحاق كل فصل ، بما ثبت له من أصل ، ولعمرى أن الاجمال فى الأثر هو الأكثر ، ولا سيما فى الألفاظ المذكورة فى كتب التوحيد فان أكثرها غير معطى حقه من التفسير ، وبالحرى أن يتعرض لبيان الحق فى هذا وغيره من قدر عليه ، ولولا ما أشاهده من نفسى من تكدر البال ، واضطراب الخواطر ، وانسداد القريحة فى الغالب ، مع الاعتراف بقصور لعلم ، وفتور لعزم ، لكان الانتداب الى اظهار كتاب يكشف عن قواعد التوحيد من عين الصواب .

فان قلت : فاذا كانت هذه المسائل مما يختلف فيه ، أو ليس من الصواب أن تترك الى غيرها تورعا بالخروج من المختلف ؟

قلت : ان ذلك مما قيل به ورعا فى بعض القول ، وأما الأخذ بما جاز من مختلف فيه ، لمن أبصر عدله ، فجوازه اجماع لا دافع له ، وأنا مما لا يرى بأسا فى التكلم والنطق بمثل هذه الوجوه الصحيحة ، فلست بممتنع من الدعاء بها ، ولا ملتفت الى اجمال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من قال بمنعها ، ولهـذا قـد وردت عنى كذلك فى بعض الأدعية ، وان شق ذلك على من قرب فهمه من أفهام العـوام ، ولم تكن له من مـادة النظر ما يفرق به بين الوجوه فى الأحكام ، فليسنى براجع اليه •

والحمـد لله على الالهـام ، وشكرا له على الفضـل المردف منه بالانعـام •

*** مسـألة :**

ومنـه : وهل شيخنا فى هذه الرواية ، عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « كلام بن آدم كله عليه لا له الا ثلاثا : أمرا بمعروف ، أو نهيـا عن منكر ، وذكرا لله تعـالى » أفى ذلك اختـلاف أو ناسـخ لهـا ؟ واذا صرنا لابد لنـا من مخالطة ابنـاء زماننا فى أمور دنيانا ، أو تدبير معاشنا ، ولم نستعن عن الكلام فى الأسـواق وغيرها ، والبيع والشراء ، ما الحيلة لنـا ، والخلاص لديننا اذا كان الأمر كذلك •

الجـواب :

الحـديث صحيح ، ولا ناسـخ له ، وهو موافق للآية الشريفة المحـكمة : (لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصـدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) لكن الأمر بالمعروف فى الآية الشريفة ، والحديث النورانى ، شامل لكل ما يتكلم به العبد من الحق من واجب ، أو وسيلة ، أو مباح ، فهو عام فيما ليس بمنكر ، لأن المعروف ما عرفته القـلوب السليمة ، والمنكر ضـده ، ولا يستقيم غير هـذا أبدا •

ولهـذا تنوعت العبادة فى الموضـعين ، فذكر فى الآية الصـدقة والاصلاح وفى الحـديث النهى عن المنكر ، وذكر الله ، والمعنى واحد ، فالكلام مثلا فى الجهاد فى سبيل الله أو فى سر العـلم وأحكامه ، وسيرة السلف الصـالح ، أو ما كان من المباح ، كالتزويج والبيع والشراء ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتعليم الآداب ، والحكم والمصالح ، وتحذير الغوائل الدينية ، أو الدينياوية ، كل هذا من المعروف الذى يكون الأمر به أمرا بالمعروف ، ومما المعبد لا عليه ، فينبغى أن تعرف سر الحديث لئلا يشكل عليك ، فتفهم سند غير المراد به ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : تفضل شيخنا أوضح لنا فحوى قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : « كل شىء له علم وعلم الايمان الصلاة » .

الجواب :

العلَم بفتحتين هو الفاصل بين الأرضين لغة ، ومعناه هنا أن الصلاة هى العلامة الفاصلة بين الشرك والايمان ، لأنها هى عماد الدين كما ثبت فى حديث عنه ، فمن صلى صح ايمانه وعلم ، ومن ساءت صلاته أو نقصت أو كرهت أو قبحت فلركاكة فى ايمانه بقدر ذلك ، ومن زكت صلاته وحسنت فيها أفعاله ، وخشعت بها جوارحه ، واشتغل بها قلبه ، فلسبب ايمانه كان ذلك ، فانها هى علَم الايمان وشعاره فى الاساءة والاحسان .

فهى دليل المزيد منه ، أو النقصان مؤد الى ما يكون غدا له من الربح والخسران ، المفضى لصاحبه لسخط ربه الى دار الشقاوة والهوان وان أرضاه الى الجنان ، فى جوار الرحمن ، أعدت لأهل الايمان ، (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) (بمثل هذا فليعمل العاملون) ، (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) .

*** مسألة :**

ومنه : وما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان لله تعالى سبعين حجابا من نور ، ولو تقدم العبد قدر أنملة لاحترق » ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

ان بيننا وهـذه الحجب النورانية أكثر من سبعين حجابا ظلمانية ، لم يتيسر لنا فى هـذه الطريق قطعها بالتحقيق ، فكيف لنا بوصف ما لم نصل اليه بالكشف ، لكن نفهم منها أنها أنوار معنوية ، لا أنوار حسية ، وهى أنوار المعارف الإلهية ، فى المقامات التوحيدية ، التى يجاهد فيهـا السالكون ، ويختلف فى مراتبها الواصلون ، من مقامات الملائكة الكرام ، والأنبياء عليهم الصـلاة والسلام ، ومن دونهم العلماء بالله تعـالى ، فانهم فى مقامات المعرفة بالله تعالى ، والعـلم بتوحيده ، والمكاشـفة بأسمائه وصـفاته ، على عدد مراتب النجوم السماوية ، كمـا أشار اليه ابن الفارض فى قصـيدته الميمية شعرا :

لهـا البدر كأس وهى شـمس يديرها
هـلال وكم يبدو اذا فرجت نجـم

فمنهم الكامل فى المعرفة ، ومنهم دون ذلك ، (وما منا إلا له مقام معلوم) وما تفاوت الكل فى المقامات العلية ، الا بالوقوف عند هـذه الحجب النورانية :

فمنهم الواقف عند مبادى المعرفة .

ومنهم المتعلق بأوائل مفهوم الصـفات والأسماء .

ومنهم المشتغل ببعضها عن بعض .

ومنهم الواقف عند بعضها عن بعض .

ومنهم من يصـل الى حـد يظن أن لا متجاوز فوقه لأحـد .

كل ذلك قصـور فى المعرفة ، واحتجابه ببعض الحجب النورانية ،

التى احتجب بهـا الرب سبحانه وتعالى ، واليها الاشارة بهذا الحديث المذكور ، كما صرح به الغزالى وكفى بهـذا عن الاطالة ، والله أعلم •

سؤال من محمد بن سعيد بن ياسر :

أسائل شـيخنا بالعـلوم تزخـرا
امامـا سما علمـا وحلمـا ومفخرا

نظام المعالى راجح الوزن والحجى
سـعيد بن خلفـان العباب المنـورا

أسـائله عمـا رووا عن نبينـا
محمـد الراوون من فعـله جـرا

يكاد يكون الفقـر كفرا فهـل هنـا
يكـون الفقـير المسـتكن مكفـرا

وإلا فمـا يعنى النبى بقـولـه
أفـدنا هـداك الله بالحق ما ترى

عليـك سـلام الله منى تحيـة
الى أن أرى وعـد الإلـه وأحشرا

الجـواب :

أيكفر فقر بعـد وصـف المهاجرين
بالفقر فى نص الكتـاب مسـطرا

وانهم فى جنـة الخـلد يسبقون
أهل الغنى فى نصـف يـوم تحـررا

وما قال ان الفقر كفـــر وانمـــا
يكاد يكون الفقـــر كفـــرا تقـــورا

ومعنـــاه أن الفقـــر فى غير صـــابر
شـــكور لمن أغنى الإلـــه وأفقـــرا

يؤدى الى هـــذا كحـــالة كل من
عن الله لا يرضى بمـــن هو قـــدرا

فان شئت قـــل هـــذا شـــيوع لأنه
يؤدى الى العصـــيان والظلم للورى

فيصـــبح هـــذا ســـارقا لافتقـــاره
وذاك نهـــوبا يقطـــع الطرق والقرى

وآخـــر محتـــالا بكل مكيـــــدة
خـــداعا وغشا ان يرى الخدع مثمرا

وآخـــر مغتـــالا بقتـــل ونحـــوه
وبعضـــا على أكل الحرام قـــد اجبرا

فكم واحـــد قـــد قاده الفقر والهوى
الى حيـــلة منهـــا الموارد كـــدرا

ولو كان عنهـــا فى غنى لم يحم لهـــا
على ســـاحة بل كان عنـــا مستترا

لذا قيـــل كـــاد الفقر كفـــرا يكون فى
مواضـــــع خوفـــا أن يكون مؤثرا

فـــان أدركته عصـــمة ففضـــيلة
وان صـــحبته نقمـــة فكمـــا تـــرى

ســـؤال من خميس بن سليم بن خميس الزكوى :

يا شيخى الزاكى الأفعال والشـــيم
ومن غـــدا فى الورى نارا على عـــلم

غير الخليلى ما أعنى بـــه أحـــدا
فهو القمين بمـــدحى يا أولى الشـــمم

فأوضـــحا لى فحـــوى قول ســـيدنا
محمـــد قال وهـــو الصـــادق الكلم

ما ان يرد القضـــا إلا الدعـــاء ولا
يزيـــد فى العمـــر الا البر فانتظـــم

هذا الحديث وأرجو كشـــفه لأرى
كنـــه المـــراد وتـــم الآن منتظمى

الجـــواب :

هـــذا جواب قصير البـــاع والقـــدم
عن حل مشـــكل أسرار الحـــديث عمى

ما حـــل ســـائله يوما بســـاحته
إلا لفقـــدان أهل العـــلم والحـــكم

اذ أصـــبح الناس من فرط العبادة قد
يستسمنون بلا شـــحم أخـــا ورم

ان القضـــاء على ضربين قـــدره
رب السموات مولى بارىء النسـم

فمنـــه ما هو حتم لا مـــرد لـــه
كالمـوت للأجل المعلوم فى القـدم

ومنـــه ما هـــو يقضـيه ويعـلمه
أن لا يكون لأسـباب بهـن حمى

منهـــا الدعـــاء وســـماه النبى لـــه
ردا مجازا بحسب الظـاهر الأمم

كقـــوم يونس لمـــا آمنوا كشـــف
القـدر أو هو قضـــاء كونه لهم

لكنـــه رد بالايمـــان حين دعـــوا
من بعـــد ما عاينوه موضـــح النغـــم

ولـــم يوفق البـــر المشـــــار لـــه
الا أخـــو العمـــر الممـــــدود بالقســـم

فهـــو الأمـــارة جـــاءت بالبشارة لا
معنى مزيد ولا نقص لمحتـــــرم

فافهم هـــديت لأسرار الحديث فلا
إشكال فى الحق عند الحادث اللمم

ســـؤال من جمعـــة بن خصـــيف :

ما قـــول ســـيدنا الغطريف ذى العظم
بحر الذرى والهـــدى والعـــلم والكرم

الفيصل المقصـــل اللد البلاغة قـــد
أنتـــه منقادة تســـعى على قـــدم

سعيد الحبر من ريا سجيته
فى الشرق والغرب مسك غير مكتتم

فيما أتى عن رسول الله مستندا
من نية المؤمنين الطاهر الشيم

خير لهم من الذى يبدون من عمل
أوضح لنا لحنه كشفا بلا عمم

الجواب :

قولا لجمعة انى قاصر الهمم
عن صوغ عقد قوافى الشعر فى النغم

اكن لى نية فى الخير أجمعه
قدمتها قبل أن أبديه من خدم

فى الحلم والعلم والتقوى وفى ورع
والبر والنسك والاحسان والكرم

وفى صلاة وصوم والزكاة وفى
الجهاد والحج مع وصل لذى رحم

ونيتى كلما يرضى الإله على
أتم وجه وفى العهد والذمم

أن املأ الأرض عدلا واللسان ثنا
والقلب شكرا لذى الآلاء والنعم

مستعملا كل عضو كل آونة
فيما لتكليفه أخرجت من عدم

لكن طباعى عن هذا تضيق فلا
تقوى على فعل ما فى نيتى همى

والله يجزى على النيـات يشـكرها
كمـا يجـازى على الأعمـال بالقيـم

قـال النبى يرى العبـد التقى لـه
يوم القيـامة أعمـالا بهـن حمى

يقـول يارب لـم أعمـل بقـول لـه
هـذا الذى كنت قـد نبوته فاغتنم

فنيـة المؤمنين الآن أوسـع مـن
أعمالهم فهى خـير فاستفد حـكمى

وثانيـا فهى روح العقـل أجمعـه
وان خـلا عمـل منهـا فـلم يقـم

وربمـا جـردت عنـه فكان لهـا
فضـل يثيب عليـه بارى النسـيم

وثالثـا ان أعمـال القـلوب لهـا
فضـل على عمـل الأجسـام لم يرم

ورابعـا فهى سر لا يكـدرها
مـا كان يحبط أعمـال الـورى بهم

من أجل هـذى المزايا فى الحديث أتى
تفصـيلها وكفى للنـاظر الهمم

ومما هو مضاف الى الكتاب عن البطاشى •

✻ مسـألة :

ما تقول فى هـذه الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تطئوا الحوامل حتى يضـعن ، ولا الحوائل حتى يحضن » هـذه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رواية تطـلق على العمـوم ، أم على الخصـوص ، أم على العمـوم والخصوص ؟ اشرح لنا ذلك وجزاك الله خيرا .

الجـــواب :

أرجو أن أصـل الحديث وارد فيما سباه المسلمون من المشركين من النساء ، فجعله أصحابنا رحمهم الله عاما فى ذلك وفى غـيره عنـد انتقال المملوكات من مالك الى مالك ، لأن الاعتبار بعموم الحكم لا بخصوص السـبب وارد فى كثير من المسـائل الشرعية ، ولعـل هـذا من ذلك ، ولا سيما الحوامل ، فان انتقالهن من أزواجهن بالطـلاق أو من مالكهن بالبيع أو الاعتاق لا يجوز معه وطؤهن بملك اليمين لمن انتقلت اليه بالبيع حين ، ولا عقـد التزويج عليها ، الا أن تضع حملها شرعا ، لا يجـوز غيره قطعا ، والله أعـلم .

فصـــــل

وعنـه وأيضا : عنه صلى الله عليه وسلم : « لكل وطء استبراء » هـذه خاصـة أم عامة ؟

الجـــواب :

أرجو أن ليس المراد أن لكل وطىء استبراء ، وانما المراد أن لكل ملك استبراء ، وأرجو أنه على عمومه فى الاماء ، والله أعـلم .

فصـــــل

وعنه أيضا : عنه صـلى الله عليه وسلم : « لكل وطء استبراء » هـذه خاصـة أم عامة ؟

الجـــواب :

أرجو أن ليس المراد أن لكل وطء استبراء ، وانمـا المراد أن لكل ملك استبراء ، وأرجو أنه على عمـومه فى الاماء ، والله أعـلم .

فصـــــل

وعنه : وقد وجدنا فى كتاب الأحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قـال : « ان أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان : الفم والفرج » وعنه أيضا عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق » وعنه أيضا عليه الصلاة والسلام : « ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتى » •

❊ مسـألة :

وعنـه : ويوجد فى الأثر فيما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء فى النار » ما صفة هـذه العرافة ، وما صـفة العرفاء ؟

الجـــواب :

ان العرفاء فيما عندى أنهم المقدمون والرؤساء من الناس ، وهـذا حـكم قـد جرى فيهم على معنى الغالب من أمرهم ، لا على العمـوم فى كل واحـد منهم بعينه ، لأن فى القدمين والرؤسـاء من ليس كذلك بصـحة عدله ، وظهور فضـله ، كما هو معلوم ، والله أعـلم بتأويل كلام نبيه صلى الله عليه وسلم ، والله أعـلم •

فصـــــل

ويوجد فى الجزء الرابع من كتاب « الترتيب » قوله : « سـيد الأيام يوم الجمعـة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » لفظه فى الجامع : « سـيد الأيام عند الله يوم الجمعة ، يوم الجمعة أعظم من يوم النحر والفطر ، وفيه خمس خصال :

فيه خلق الله آدم •

وفيه أهبط من الجنة الى الأرض •

وفيه توفى •

وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه ما لم يسأل إثما أو قطيعة رحـم •

وفيه تقوم السـاعة ، وما من ملك مقـرب ولا سـماء ولا أرض ولا ريح ولا جبل ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة » •

وفى حـديث آخر عنه : « الشاهد يوم عرفة ويوم الجمعة والمشهود هو الموعود يوم القيامة » •

وقوله : ان التواضـع للعبد الى آخره •

قال العلقمى : التواضع بضـم الضـاد المعجمة مشتق من الضعة بكسرها ، وهو الهوان ، والمراد بالتواضـع اظهار التنزل عن المرتبة ممن يراد تعظيمه ، وقيل : هو تعظم من فوقه لفضـله ، وقيل : هو الاستسلام للحق ، وترك الاعراض عن الحـكم من الحاكم ، وقيل : هو أن تخضع للحق وتنقاد له ، وتقبله ممن قاله صـغيرا أو كبيرا ، شريفا أو وضيعا ، حرا أو عبـدا ، ذكرا أو أنثى أو غيره ، نظرا للقول لا للقائل ، فهـو انما يتواضـع للحق وينقاد له ، وقيل : هو أن لا يرى لنفسـه مقامـا ولا حالا يفضـل بهما غيره ولا يرى فى الحق من هو شر منه •

قال تتمـة :

مر الحسن بن على على صـبيان معهم كسر خبز فاستضافوه أدبا معـه ، فنزل وأكل معهم ، وان كان ذا جاه وحشومة تواضـعا ، والخبر : « من دعى فليجب ولو الى كراع » ثـم حملهم على منزله ، وأطعمهم وكساهم وقال : ليداى النعمة لهم حيث أحسنوا أولا ، وبذلوا ما أمكنهم ، لأنهم لم يجـدوا غير ما أطعمونى ونحن نجـد أكثر منه • انتهى •

قوله : وان العفو لا يزيد العبد الا عزا الى آخره •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال العلقمى : قال فى النهاية : العفو هو التجاوز عن الذنب ، وترك العقاب عليه ، وأصله المحوا •

قوله : وان الصدقة: لا تزيد المال الا كثرة الى آخره ، يعنى أن الصدقة تكون سببا بكثرة المال يتجر فيه ، فينمو أو ينزل الله فيه البركة من حيث لا يدرى صاحبه ، وان كانت تنقصه حسا •

وقال العلقمى : فى حديث آخر لفظه فى الجامع : « ثلاث أقسم الله عليهن : ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ، ولا عفى رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى بها عفوا أيدكم الله عزا ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس الا فتح الله عليه باب فقر » •

قال ما نصه قوله : نقص مال من صدقة •

وقال شيخنا : قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى أماليه معناه : أن ابن آدم لا يضيع له شىء وما لم ينتفع به فى دنياه انتفع به فى آخرته ، فالانسان اذا كان له داران ، فحول بعض ماله من أحد داريه الى الأخرى ، لا يقال فى ذلك البعض المحول نقص من ماله ، وقد كان بعض السلف يقول : اذا رأى السائلين مرحبا بمن جاء يحول مالنا من دنيانا الى آخرتنا فهذا معنى الحديث ، وليس معناه : أن المال لا ينقص فى الحس ، ولأن الله يخلف عليه الأن ذلك معنى مستأنف ، وسيأتى فيه مزيد فى حديث : « مما نقصت صدقة من مال » • انتهى •

ولفظه فى الجامع : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله » •

قال فيه المظهرى قوله : ما نقصت صدقة ، وقوله : ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، قيل : فى الدنيا بالبركة فيه ، ودفع المفسدات عنه ، وقيل الى الآخرة بالثواب ، والمتضعيف ، قوله : ما زاد عبدا بعفو إلا عزا ، قيل فى الدنيا وقيل فى الآخرة •

قوله : ما تواضع أحد الا رفعه فى القولين أيضا •

قال النووى : وقد يكون المراد الوجهين معا فى الأمور الثلاثة •

وقال القرظى قوله : ما نقصت صدقة من مال فيه وجهان :

أحدهما : أنه بقدر ما ينقص منه يزيد الله فيه ، وينميه ويكثره •

والثانى : أنه وان نقص فى نفسه ففى الأجر والثواب ما يجبر ذلك النقص باضعافه •

وقوله : ما زاد الله عبدا بعفو الا عز ، فيه أيضا وجهان :

أحدهما : أنه على ظاهره ، فان من عرف بالصفح والعفو زاد وعظم فى القلوب •

والثانى : أن يكون أجره وثوابه وجاهه وعزه فى الآخرة أكثر •

وقوله : ما تواضع أحد الا رفعه الله :

التواضع : الانكسار والتذلل ، ونقيضه الكبر والترفع ، والتواضع يقتضى متواضعا له هو لله ، أو من أمر الله بالتواضع له ، كالرسول والامام والحاكم والعالم والوالد ، فهذا التواضع الواجب المحمود الذى يرفع الله به صاحبه فى الدنيا والآخرة ، وأما التواضع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لسائر الخلق فالأصل فيه أنه محمود مندوب اليه ، ومرغب فيه اذا قصد به وجه الله ، ومن كان كذلك رفع الله قدره فى القلوب ، وطيب ذكره فى الأفواه ، ورفع درجته فى الآخرة •

وأما التواضع لأهل الدنيا ، وأهل الظلم ، فذل هو الذى لا عز معه ، والخسة التى لا رفعة معها ، بل يترتب ذل الآخرة ، وكل صفة خاسرة ، نعوذ بالله من ذلك •

*** مسألة :**

وعنه : ويوجد من بعض الرقاع ، رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من تحدث بحديث الدنيا فى المسجد أحبط الله عمله سنة » أتكون هذه الرواية صحيحة أم لا ؟ وما صفة هذا الحديث الذى يحبط العمل ، يحمل على كل حديث ، أم حديث وبه شىء من المعاصى •

الجواب :

ان احباط العمل لا يكون الا بكبيرة ، فاذا حمل ذلك على ما يكون من هذا القبيل فيبقى النظر فى تخصيصه بالمسجد ، وفى تحديده بالسنة ، واحباط العمل الصالح بالكبيرة عام فى كل مكان ، وكل زمان ، ما لم يتب منها ، ولا يبين لى فى ذلك معنى الا اذا حملنا ذلك على ما دون الكبيرة من الكلام ، الذى ينبغى تنزيه المسجد عنه من غير قطع على قائله بعصيان ، فيكون فى تخصيصه بالمسجد معنى التعظيم له ، بتنزيهه عن ذلك ، ويكون معنى الاحباط ما يؤثر فيه شؤم ذلك الكلام من الفتور عن الطاعة الى ذلك الحد المحدود ، لا معنى الاحباط المتعارف فى الشريعة الا اذا كان لذلك معنى دق عن الفهم ، والله أعلم •

رجـــع الى كتاب التمهيـــد :

*** مســـألة :**

أيضـــا وجـــدت شيخى عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ما معنى هـــذه الرواية ؟

الجـــــواب :

هـــذا الحـــديث لم يصح مع أصحابنا ، وانما هو موجود فى رواية غيرهم ، وفى قول اصحابنا أنه غير صـــحيح ، والله أعلم بذلك ، وما وجهه فانه لو صـــح لجاز للناس أن يتقربوا الى الله تعالى بفعل الفواحش ، وعمل الكبائر ، طلبا لوعـــد الرسول صلى الله عليه وسلم بالشـــفاعة لهم على فعلهم ذلك ، فيرجع المسىء به محســـنا ، والعاصى طائعـــا ، والمنافق مســـلما ، والملعون مقـــربا لاستحقاقهم الشـــفاعة بكبائرهم ، والاحسان بسيئاتهم ، وهـــذا باطل عاطل مجانب للصـــواب ، مخالف للســـنة والكتاب ، والله أعـــلم .

*** مســـألة :**

ومنـــه : ومما يوجـــد عنه صلى الله عليه وسلم : « سيأتى عليكم زمان خياركم من لم يأمر بمعروف ، ولم ينـــه عن المنكر » بين لنا شرح هـــذه الرواية ؟

الجـــــواب :

هـــذا الحـــديث صحيح ، ووجهه أنه ســـيأتى عليكم زمان يكون المنكر فيه معروفا ، والمعروف منكرا ، ورجال الحق يكونون فيه أذلاء مستضعفين ، لا يقدرون على الأمر بالمعروف ، ولا على النهى عن المنكر ،

يتوقعون الفتنة منه على دينهم ، أو على أنفسهم وأموالهم ، فهم معذرون عن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر لعجزهم ، لا يأمرون ولا ينهون ، ولا يشتغلون من أمر العامة شيء لعدم القدرة ، وانما اشتغلوا بخاصة أنفسهم ، وانقطعوا لعبادة ربهم ، فهم الأخيار فى زمانهم ، وان كانوا يأمرون بمعروف ، ولا ينهون عن منكر ، والله أولى لعذرهم والسلام •

*** مسألة :**

ومنه : نسألك شيخنا عن قول النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » بين لنا تأويل هذا الحديث ؟

الجواب :

قوله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » اذا كان القلب الغالب عليه عن الموت حب الأهل والولد ، والمال والمسكن ، والعقار والرفقاء والأصحاب ، فهذا رجل محابه كلها فى الدنيا ، فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب ، فموته خروج من الجنة ، وحيلولة بينه وما بين ما يشتهى ، ولا يخفى حال من يحال بينه وما بين ما يشتهيه ، فاذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى ، علام الغيوب ، وسوى ذكره ومعرفته ، والتفكر فى مخلوقاته ، والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب ، فالدنيا اذن سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الى محابه ، فموته قدوم على محبوبه وخلاص له من السجن ، ولا يخفى حال من أفلت من السجن ، وخلى بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر ، فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : ومما يوجد عن ابن مسعود : « لا يقولن أحدكم : اللهم انى أعوذ بك من الفتنة ولكن يقول : اللهم انى أعوذ بك من مضلات الفتن » ما الفرق بينهما أيجوز لى أن أدعو بالدعاءين أم لا يجوز هذا نهى كراهيته أم نهى تحريم أم نهى أدب ، بين لنا ذلك ؟

الجواب :

اعلم ان صح عن ابن مسعود فكأنه يشير الى أن بعض الفتن قد تكون من مصالح الاسلام ، فلا يستفاد منها كما قيل : لا تكرهوا الفتن فان فيها قمعا لرءوس الجبارين ، ولهذا خصص الاستعاذة بكونها من الفتن المضلة ، ومعنا أنه يجوز الاستعاذة من الفتن على العموم فى اللفظ للتغليب ، أو على نية الخصوص بالفتنة المضلة ، أو المردية فى الدين أو الدنيا ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومما يوجد عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث عنه أنه قال : « المنافق ان وعد أخلف وان اؤتمن خان وان تكلم كذب » ما هذا الوعد الذى يصح فيه الخلف ، وما هذه الأمانة التى تصح فيها الخيانة ، وما هذا الكذب ؟ تفضل شيخنا اشرح لنا جميع هذا عسى الله أن يرشدنا الى طريق الهداية .

الجواب :

وهذه علامة من علامات النفاق ، يعرف بها المنافقون لادمانهم عليها ، وقلة مبالاتهم فيها ... (١) من شىء عرف به ، وفى كل شىء من

---

(١) بياض بالأصل ، ولعل الصواب ومن أكثر شىء عرف به .

هـذه الأشياء خصـوص وعموم ، ومحجور ومكروه ، وجائز ولازم ، وشرح ذلك كله يطول لكن نصـور فى واحـدة ما يدل على سـائرها ، فنقول : من وجـد أناسـا يتواعدون على قتل رجل ، فقدر على خلاصه منهم بالكذب ، ولو قـدر على خلاص من ظـلم أحـدا بكذبة يكذبها ، كان ذلك جائز ، أو لو كـذب فى خبر مما يضر أحـدا ، ولا ينفـع ، بل قال مثلا فى شىء قليل : انه كثير ، أو كثير انه قليل ، بغير نيـة كان ذلك مكروها ، وربما عـد فى الصـغائر ، ولو افترى على مسلم بقذف أو شـهادة زور ، كان ذلك محجورا وهو من الكبائر ، وعلى هذا يقاس فى خلف الوعـد والأمانة والنفاق ، وفى المحجور كـله ظـاهر ، وفى المكروهات دونه ، ولو بلغ به الى الصـغائر فلم يتب منها كان نفاقه بذلك واضـحا وليقس على ذلك ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشـة رضى الله عنهـا : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع غير أنى لا أطلقك » بين لنـا قدوتنا هـذه الرواية بتمامها ؟

الجـواب :

الحـديث فيه عشرة أحـاديث ، وهو طويل موجـود فى تيسـير الأصول ، غير أنه غير حاضر عندنا بسمايل ، بل هو فى بوشر وعسى أن نكتبه لك اذا كنا هناك ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقول : شيخنا فى الرواية عن أهل العلم : من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . تفضـل بين لنـا هـذه الحكمة ، وهـذا الاخلاص مأجور ان شاء الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

قيل فى هذا : من أخلص لله قلبه أربعين يوما لم يشتغل فيها بغـير الله ، متخليا بذكره وتقواه ، ملازما لحضور قلبه مع الله ، فان اللـه يفيض عليه من أنـوار علمه وحكمته ، بواسـع رحمته ينابيع حكمته فى جنانه ، يظهرها على لسانه ، والله يقول الحـق وهو يهدى السبيل .

*** مسـألة :**

وروى عن على أبى طالب أنه قال فى الفتنة : كابن لبـون لا ظهرا يركب ولا ضرعا يحلب .

قال الشيخ العالم سعيد بن أحمد الكندى فيما أحسب : معنى ذلك ، والله أعلم بما أراد فى هذا ، إلا أنه على ما يبين لنـا أن يكون فى كل فتنة من فتن المعاصى الشيطانية ، ولا يشبه أن يكون فيها كابن لبـون ، أى كالطفل الذى لا يرجا منه فهم ولا عقل ولا تمييز ، ولا يرجـا فيها من رأى ليشاور فيها ، فهو بازل فيها مع أهلها القائمين بهـا ، بمنزلة الأطفـال والمجانين والأراذل من الناس بادى الرأى .

ومعنى قوله : لا ظهرا يركب ولا ضرعا يحلب ، أى لا ينتفع منهم بمعونة نفس ولا مال ، فيلاقون الله سبحانه يوم الجـزاء كأنهـا لم تكن مرت بهم إلا بالشهادة منهم ، بحق المحق ، وباطل المبطل من فاعلها ، ليظفر بترياقها ، ويسلم من سمومها ، وذلك يقتضى وقـوع جميع ما فى الكون مضى من قبل وجوده ، وسع به صح معه بالشهرة وجميع ما يقع فى وقته وزمانه ، من حاضر معه ، أو غائب ، وصح معه وقوعه وتكوينه حتى ما يلم به من وسـاق الوساوس الشيطانية الانسية والجنية ، فى صدره ، ولله ما يخطر ببالله ان وقع شىء من الآتى ، وبعده ما لم يأت

فيكون اعتقاده فى تصويب المحق ، وتخطئة المخطىء ، والله أعلم بالغيب فى جميع الأمـور •

وقال من قال : من عرض فى شىء وفى نفســه أنه يؤاخذ بتعريضه ، فانه لا يسعه ، وعليــه الضمان ، ولم ير بعض عليه الضمان ، ووقف عن تضمينه ان لم يقع منــه خبر ، والله أعلم •

* مسـألة :

ومبنى قاعدة المعتزلة والحكماء على وجوب الصلاح والأصلح على الله ، وقد مرّ هدمها ، وواجب فى حقهم الأمانة ، (١) لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، من غير تفصيل ، وتكون واجبة أو مندوبة أو مباحة ، والظاهر عندى قول بعضهم ثبوت الأمانة لهم ولو فى حال صغرهم ، وواجب عقلا فى حقهم الصدق •

واعلم أن الأمة اجتمعت فيما كان طريقه البلاغ على العصمة فيــه من الأخبار ، عن شىء منه ، بخلاف الواقع لا قصدا وعمدا ولا ســهوا وغلطــا على تفضيل فى بعضه ، فعلم من الأصــل وحديث تلك الغرانيق العلا ، وأن شفاعتهن لترتجى ظاهره مخالف لا قواطع ان صح بما هــو مذكور فى كتب الحديث ، مما أقر به على ظنى فيه ، أن الشيطان يرصد لقراءته عليه الصلاة والسلام ، وكان يرتل القرآن اذ ذاك عند البيت ، فحين انتهى عليه الصلاة والســلام الى هذا المحل ، وكانت منه وقفــة للتنزيل ، أدرج ذلك على تلاوته ، محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم ، فظن بيانه من قوله •

---

(١) أى الأنبيــاء عليهم الصلاة والسلام •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : هذا ما لا يجـوز أن تجرى على النبى صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يستطيع أن يتخيل معه ، يتـلو باطله على تلاوته صلى الله عليه وسلم فى خـلال وقفاته ، اذ لو كان الشيطان مسلطا لذلك لمـا استطاع النبى صلى الله عليه وسلم أن يتلو القرآن ويسكت حيث شاء ويقرأ ولكان مغلوبا يغلبه الشـيطان ، لأنـه يصير بذلك عاجزا عن أن يصرف الشيطان عنه ، ولا شك فى بطـلان هذه الرواية ، وكذب راويها ، وتضليل مصدقها ، والشاك فيهـا ضال أيضـا لا يجـوز الشك فى باطلها وكذبها ، فاعرف ذلك . انتهى .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول أيضا فى هذا ؟

قال : الله أعلم ، والـذى عنـدى أن قول الشيخ فى هـذا حسن صحيح ، إلا أن نفس الشـك فى ذلك ، وتضليل من يرفعـه مما ينبغى النظر فيه ، ولا نقـوى على التدين به ، وقـد أشـار الى ذلك الشيخ الكدمى فى كتاب « الاستقامة » فلينظر فى ذلك ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه أيضا : وجدنا فى الأثر الصحيح ، عن أبى نبهـان ، يرفعها رواته عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أخلص لله أربعـين يومـا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه » ما صفة هذا الاخلاص بين لنا ذلك ؟

الجـواب :

من أخلص لله تعـالى دينه وايمـانه ، وجسـمه وفؤاده ، وسره ولسانه ، فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسـانه بفضله وكرمه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان سأل الله ، الجـــواب هذا لا يكون إلا بالتجرد التام ، والانقطـــاع عن العـــلائق والتبتل الى الله تعالى بتصفية القلب عن جميع الشـــوائب والكدورات ، والزامه دوام الخضوع مع الله تعالى حتى يتجلى عليـــه لوامع الأنوار الالهية ، من الحضرات القدسية ، بالتجلى عن وجـــوده ، فى حضرة شهوده ، فاذا ثبت على ذلك فهو المشار اليه هنالك ، لأنـــه الذى تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، والله أعلم .

* مســـألة :

ومنـــه : وما تقول فى صفة البله الذين ذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم هم أكثر سكان الجنة ، عرفنى صفتهم مأجورا ان شاء الله .

الجـــواب :

ان البلاهة فى قول المحققين من أهـــل العلم هى ســـلامة الصدر ، فكأنهم قد سلموا من غش الصدر ، وتقدسوا من آفات القلب ، وانـــم يتلوثوا بقاذورات البـــاطل من الكبر ، والشـــح والعجب ، والحسد والحقـــد ، والرياء والنفاق ، فى أمثالهن ، وهذا هو الظاهر الصحيح .

وعن الشيخ ناصر بن أبى نبهـــان أن البله هم الذين اقتصروا على الأعمال الظاهرة من دون توغل فى حقائق الدين ولا فى الأمور الدنياوية ، ولم تكن لهم نفوس تنازع الى ما وراء ذلك ، بل كان ذلك غاية همتهم وارادتهم لعدم وفور المعـــرفة ، وقلة الفطنة ، بل يخـــرج قوله هذا على معنى البلاهة المتعارفة فى الناس ، غير أولى الفطنة الأكياس ، وهذا ظاهر فى قوله : انهم الى الســـلامة أقرب ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تفسير هذا الحديث ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نام على المأثور ولبس المشهور وركب المنظور لم يرح ريح الجنة » .

الجواب :

ان ثبت هذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فمقتضاه أن فعل ذلك لمجرد قصد الفخر والخيلاء والكبر ، وأما من فعله لمعنى يباح له فلا يدخل فى النهى ، والله أعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــاب
فى الزهد والتوبة وفضل الأعمال فى السنن
والآداب والاستئذان فى دخول المنازل

*** مســألة :**

ما تقول شيخنا فى قوله عز وجل : (أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) أيكون السـلام فرضا كالاستئناس ، أم ندبا وان كان فرضـا أعلى من أراد دخـول الدار ، أن يرفع صـوته بالسلام ، كان ذكرا أو من النسـاء الأحرار ، أم تختلف الأحكام فيه ؟

وهل الاستئناس كاف وحده عن السلام ، أم السـلام منسـوخ بالحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فما سـواه من المساجد والمنـازل أحق أم تخص فى شىء دون شىء ؟ تفضـل سيدى بايضاح السبيل ولك الأجر ، الجزيل من المالك الجليل .

الجـــواب :

الله أعلم ، والذى عندى فى هذا أن أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم قـد ذهبـوا الى أن الاستئذان والتسليم فى هـذا الموضـع ، معناهما واحد ، وعلى هذا فعطف تسلموا على أهلها على تستأنسوا فى الآية الشريفة ، انما هو للتفسير والبيان ، كعطف الحزن على البث فى قوله تعالى : (انما أشكو بثى وحزنى الى الله) والبث هو الحـزن ، إلا أن الحزن أعرف منه فى اللفظ وأوضح ، فعطف عليـه تفسـيرا له ، كما أن الاستئناس المأمور به فى الآية الشريفة هو أن يقول : السـلام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليكم أأدخل ، فكان السلام هو تفسير الاستئناس المأمور به فيها .

ويدل على هذا ما روى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أألج ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لامرأة هناك تسمى روضة :« هذا لا يحسن الاستئذان قولى له ليقل السلام عليكم أأدخل » فسمعها الرجل فقالها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ادخل » وقد اشتمل هذا الحديث على فوائد مهمة :

احداها : تعليم صفة الاستئذان بلفظ السلام لا غير ، فدل على أن السلام فى هذا الموضع معناه الاستئذان لا غير .

والثانية : أن هذا السلام لا يلزم أهل البيت رده ، بدليل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ادخل . ولم يقل له وعليك السلام ادخل .

والثالثة : أنه لو كان من باب السلام الذى هو بمعنى التحية ، لكان رده فرضا ولم يتركه النبى صلى الله عليه وسلم وهو المعلم لأمته ، ولو ثبت الرد منه لنقل عنه .

ولما وقف أبو موسى الأشعرى على باب عمر قال : السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع ، وقال بذلك أمرنا ، فدل على أن السلام فى هذا الموضع هو نفس الاستئذان ، لكن فى رواية أبى أيوب الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الاستئذان هو أن يتنحنح أو يقول : سبحان الله ، أو لا إله إلا الله ، أو نحو هذا ، والتسليم أن يقول : السلام عليكم أأدخل فكأنهما على هذا سببان .

لكن ليس فيه ما يدل على وجوب الجميع بينهما ، أو جواز

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ، وانما فيه فائدة جليلة ، وهى أن الاستئذان قد يكون بغير لفظ السلام المصرح به فى هذا ، أن التنحنح ونحوه يسمى استئذانا ، وقد ثبت فى حديث : « روضة الاستئذان بالسلام » فدل على أنه الأكمل والأفضل ، لأنه لا يصح الاستئذان إلا به ، بدلالة هذا الحديث الثانى •

ونفس الاستئذان بأى شىء كان هو المشروع فريضته قطعا ، وبأى وجه وجد ولو بتسبيحة ، أو بقرع باب أو نحوه ، فقد حصل الاستئذان ، واذا حصل به الاذن من رب الدار جاز الدخول لوجد ان الاباحة ، وبذلك ينتفى الحرج وترتفع علة المنع المنوطة به قبل حصول الاذن ، وان ترك السلام المأمور به فى الاستئذان فليس هو بأشد من ترك سلام التحية ، وكلاهما من السنن التى لا يهلك بتاركها ، ما لم يرد خلاف السنة أو التهاون والاستخفاف بها ، وانما يهلك اذا ترك مطلق الاستئذان ، فاقتحم على الناس فى دورهم بغير استئذان ، لما فيه من انتهاك الحرم ، وأذى المسلمين إلا ما خص بدليل الأحوال عارضة يسقط بها الاستئذان ضرورة ، كبيت وقع فيه حرق أو قتال أو منكر ، أو سمع به من يستغيث بالله أو المسلمين ، أو لأحوال أخر يقوم مقام الاذن عادة ، حيث يتعارف بذلك فى أوقات مخصوصة أو مطلقا كمجلس امام أو عالم أو وال أو قاض أو نحوهم •

سواء كان فى ناحية من البيت المأهول أو غيره ان اعتاده الاباحة فيه لأشخاص معينة ، ممن لا يستغنى أهل الدور عن مداخلتهم ، كالذين ملكت أيمانهم ، والذين لم يبلغوا الحلم منهم ، كما صرحت به الآية الشريفة وكفى •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا ثبت التخصيص فى نفس الاستئذان بهذه القواعد ، فينبغى النظر فى المستأذن بكسر الذال أيضا ، يلحقه التخصيص بوجه أم لا ؟

فنقول : نعم ان وجوب الاستئذان معلق بوجود القدرة ، وعدم العذر ، أما لو قدرنا أن أحدا أدركه سبع أو عدو يريد قتله ، أو جدار يقع عليه ، ولم ير الخلاص لنفسه الا بدخول هذه الدار ، ولا يجد مهلة الاستئذان جاز له تخليص نفسه باقتحام الدار على أهلها بغير استئذان ، لكن يلزمه فى هذا الموضع غض البصر ، وكف النظر عن المحارم ما أمكن .

ثم ان الحرائر من النساء اللاتى قد ثبت فى السنة الصحيحة النهى عن رفع أصواتهن ، والأمر بخفضهن لا يكلفن رفع الصوت بالسلام من بعد ، فيؤمرن بما قد نهى الله عنه ، وانما يأتين من الاستئذان ما استطعن ، ويتحرين لأنفسهن ما هو الأليق بشأنهن ، وأوفق لحالهن من عدم اظهار الأصوات ، والاكتفاء بما يستدل به على الاستئذان من الأمارات الدالة على ذلك ، ولو مثل دق باب ، أو قرع حجر على حجر ، إلا أن يتأتى لهن السلام من قرب ، مع الغض من أصواتهن ، حتى لا يبلغ بهن الى كراهية ، ولا منع فيكن فى ذلك كغيرهن سواء .

ولا يخفى أن الدور على ما بها من سعة الحيطان وضيقها ، وبعد المساكن وقربها ، فى قواعدها أو غرفها ، أو علاليها أو ما دون ذلك منها ، قد تختلف فى امكان ابلاغ الاستئذان بالسلام على أهلها من الرجال والنساء ، فلابد من مراعاة الامكان بلا مشقة ، لأن دين الله يسر ليس به عسر .

هذا وأما قولك : أم السلام منسوخ بالحديث المروى عن النبى ، حيث قال : « لا سلام فى مسجدى هذا أو فى هذا المسجد » الشك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منك ، والله أعلم وأنا لا أدرى صحة هذا الحديث ، ولا حفظ عندى فيه ، ولا أعلم أنى وقفت عليه فى شىء من الأثر إلا أننى أنكره جحدا ، ولا أوسعه ردا لعدم الاحاطة بالعلم ، والامكان أن يكون عدم الاطلاع عليه قصورا منى ، كما هو اللائق بالحال ، لكنى لم أجد فى آثار أصحابنا المشارقة ، ولا فى سيرهم وأسفارهم ما يدل عليه البتة .

ولئن صح وثبت أنه من الحديث ، فالقول بنسخه لا يصح إلا على أصل يعتمد عليه ، وان لم يصح معنا أصل الحديث فكيف يجوز لنا القول بنسخه ، وهذا لا يكون الا اتباعا للظنون ، لكن ان ثبت هذا الحديث فيجوز تأويله وحمله على أحسن الوجوه ، وأقر بها الى الهدى ، وأوضحها فى اللفظ أو المعنى ، عملا بقوله تعالى : (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) والذى يظهر لى ان صح الحديث ، أن السلام فيه من التسليم ، الذى هو بمعنى الاستئذان ، ومعناه أنه لا استئذان فى مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهكذا فى غيره من المساجد تسمى بيوتا فى كتاب الله : (فى بيوت أذن الله أن ترفع) كان وجوب الاستئذان بالتسليم من خارج ، على من فيها أولياء لأنها من جملة البيوت التى يشملها قوله تعالى : (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) ولما كانت مظنة لذلك بينت السنة أنه لا سلام لمعنى الاستئذان فيها ، دفعا للوهم ، ورفعا للاشكال .

وكأين من الجهلة من سمعناهم يستأذنون على المساجد فى زماننا هذا ، وهذا بحمد الله وجه ظاهر سديد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فان قلت : فى هذا عـدول عن الظاهر ، والمعروف أن السـلام هو التحية ، فحمله على غيرها لا يسلم ؟

قلنا : ان السـلام فى الأصل من الألفاظ المشتركة لمعـان كثيرة ، ومن شأن اللفظ المشترك أن يحمل فى كل موضـع على ما هـو اللائق ، ولا دافع لذلك حتى يحتاج الى أن يحتج له ، وسنكتفى فى هذا الموضـع على ذكر أربعة وجـوه :

أحدها : أنه بمعنى الاستئذان كما سبق .

وثانيها : بمعنى التوديع للشىء والاذن بالخروج منـه ، ومنـه التسليم مع تمام الصـلاة ، ولهذا لم يجب رده واو جهر الامام به .

وثالثها : بمعنى المباعدة والفراق للشىء طلبا للسـلامة منه ، ومنه : (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاما) ، (سـلام عليـكم لا نبتغى الجاهلين) .

ورابعها : سـلام التحية ، وفى الأثر أنه سـنة ورده فريضـة ، وقد منع من كون هذا الحديث ان صح من باب السـلام الـذى بمعنى التحيـة .

وسهل فيه حمله على معنى سـلام الاستئذان ، وسوغ ذلك فيـه ما يشـبه الاجمـاع من فقهاء أصحابنا وغيرهم من المسلمين على ثبوت التحية بالسـلام فى المساجد مطلقا ، وقد تداول ذلك فى الآثار وملئت به الأسفار ، ولا نعلم فيه بين السلف والخلف اختلافا فى قول ولا عمل ، والأصل فى هذا قوله تعالى : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) والمسـاجد بيوت بنص الكتـاب ، ومعنى : (فسـلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضكم على بعض كقوله تعـالى : (لا تقتـلوا أنفسكم)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أى لا يقتل بعضكم بعضـــا ، فدلت الآية الشريفة بالمعنى أن المساجد يؤمر فيها بالســـلام على من بها من المسلمين كغـــيرها من البيـــوت ، ولا فرق ، فان لم يجـــد فيها أحدا فقد بينت السـنة وجه السـلام فيهـــا على النفس أيضـــا ، بأن يقول : السـلام علينـــا من ربنـــا ، حثا على السـلام فيها على كل وجه مع وجدان أحـــد فيها أو عدمه .

فان قلت : فان كان السـلام فيها بمعنى الاستئذان غير السـلام بمعنى التحية ، فالبيوت التى هى بمعنى المنـازل المأهولة يؤمر فيهـا بالســـلام مرتين ؟

قلنا : نعم يؤمر فيها بالســـلام من خارج استئذاننا ، ثم اذا دخل أمر بسـلام التحية ، وقد سقط ســـلام الاستئذان عن البيوت المعروفة بالمساجد ، فبقى فيها سلام التحية لا غير ألا وان هذا السـلام هو من أعظم أركان الاســـلام ، فهـــو تحية الله لعبـــاده (ســـلام قولا من رب رحيم) .

وتحية الخلق لمولاهم كانوا فى التحيات يقولون : السـلام على الله قبـــل خلقه ، وهى تحية الملائكة والمرسلين ، وأهل الجنـــة وتحية الاســـلام لبعضهم بعضا ، قد شرف الله بها المسلمين تكريما ، ومنعهـــا من المشركين وأهل الذمة مطلقا ، ومن العصاة فى حال مباشرتهم المعصية عقوبة لهم وسخطا ، ونهى عن تحية المصلى بها فى حـــال صلاته تخفيفا عليه ، ونظرا ، وعن القاعد فى الخلاء لقضاء الحاجة أدبا وتأكدا الإتيان بهـــا على من دخل دارا أو مسجدا ، تأكيدا قارب الوجـــوب لثبـــوت الأمر به نصـــا عن الله تعالى ، وقد أمر به فيما سواهن من المواضـــع أمرا مطلقا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أفشـــوا السـلام فيما بينكم تحابوا » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفيما يروى عنه صلوات الله عليه أنه قال : « ان فى الجنـة قصرا من درة بيضـاء فى زمـردة خضراء فى ياقوته حمراء فقيل لـه : لمـن هو يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ؟ فقال : لمن أطـاب الكلام ، وأفشى السـلام ، واطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليـل والناس نيام » فقيل : ومن يطيق هذا يا رسـول الله صلى الله عليـك وسلم ؟ فقال : كلكم لم تطيقونه ألا تقولون : سبحان الله والحمد للـه ولا إله إلا الله والله أكبر ؟ قالوا : بلى ، قال : فذاك اطابـة الكلام ، ألا يسـلم بعضكم على بعض ؟ قالوا : بلى ، قال : فـذاك افشـاء السـلام ، ألا تطعمون أهليكم ومن يلزمكم عوله ؟ قالوا : بلى ، قال : فذاك اطعام الطعام ، ألا تصومون شهر رمضان ؟ قالوا : بلى ، فقال : فذاك ادامة الصـيام ، ألا تصلون الفجر والعمة فى جمـاعة ؟ قالوا : بلى قال : فذاك قيام الليل وكثير من الناس نيام » .

هذا ما عن لى أن أذكره فى هذا الموضـع ، لبيـان هذه المسألة المهمة ، فاينظر فيه والحمـد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

روى عن أنس قال : خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وروى تسع سـنين ، فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته ، ولا قال لى لشىء كسرته لم كسرته ، وكنت واقفـا على رأسـه أصب المـاء على يديه ، فرفع رأسـه فقال : « ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها ؟ » قلت : بلى بأبى وأمى أنـت يا رسـول الله صلى الله عليـك وسـلم قال : « متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك ، واذا دخلـت على أهل بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتـك ، وصـل صـلاة الضحى فانهـا صـلاة الأبرار والأوابين » ، وقال : ان لم يكن فى البيت أحـد فليقـل السـلام علينا من ربنـا ، السـلام علينا وعلى عبـاد الله الصالحين ، السـلام على أهل البيت ورحمة الله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنـــه : تفضل شيخنا علينا ببيـــان معانى ما روى ، وهو النظر الى العالم عباده ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « النظـــر الى العالم أحب الى من عبادة ســـنة صيامها وقيامها » وما شـــابه هـــذا ، وبين الخاص والعام من ذلك تؤجر ان شاء الله ؟

الجـــواب :

الله أعلم ، وأنا ضعيف عن الخوض فى مثل هذا ، مع أنى لم أجده إلا كذلك ، وحمله على ظاهره ، كأنه هـــو الصـــواب فيـــه ، اذ ليس المراد به إلا اظهـــار شرف العلم وفضيلته ، وبيـــان منزلته عند اللـــه تعالى ، وأنه بمكانة من الفضل لا تلحق بشىء ، وأن المتخلق به بالمحل الأعلى من القرب عند المولى ، حتى أرادنى بشىء من التنزيه أو التعظيم له ، يكون نوع عبـــادة ، قد يكون أفضـــل من جمـــل من العبادات ، كما ترى فى سياق الحديث ، والمخصوص بهذا رجال الله ، علماء الآخـــرة الذين هم ورثة الأنبيـــاء ، مصابيح الهدى ، وغيث الأمة وغوثها .

فالنظر اليهم على سبيل البر بهم ، والمحبة لهم ، والتعظيم لهم ، والتوقير والاحترام ، لما ألبسهم الله تعالى من أنـــوار علمه ، انمـــا هو لأجل محبة العلم ، وهى محض محبـــة الله تعـــالى ، أو التعظيم العلم ، وهو من تعظيم الله تعالى واجلاله ، فالمتأدب بين يدى العالم متأدب بين يدى الله ، والموقر له موقر لله تعالى ، اذ لم يكون حبه وتعظيمه إلا لمزية العلم ، الذى فضله الله تعالى بها ، وأنزله فيها ، وأقل ما يظهر له ذلك فى النظر اليه ، والتأمل فى وجهه حبا لله تعالى ، وتوقيرا للعلم ، فهى عبادة باطنية نشـــأت فى القلب عن حب الله تعالى أو المعرفة بجبـــلاله وعظمته ، فوالى بهـــا من والاه ، وعادى بها من عاداه ، وتواضـــع بها لمن رفق الله تعالى بدينـــه ، وتحبب بها الى من أوجب الله محبته بفضله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهى طهارة باطنية ، وعبادة قلبية ، وهى مقدمة فى فضلها على سائر العبادات الظاهرية الخالية ، عن مثلها لأن عبادات الجوارح الظاهرة انما تراد غالبا لتطهير القلب ، وتصفيته ، حتى يتحلى بنور المعرفة ، ويتخلق بالأخلاق الملكية .

فالعبادات الباطنية قليلها كثير وصغيرها كبير ، فلذلك كان نفس النظرة أفضل من عبادة سنة ، تخلو عن مثلها من الأوزار الباطنية ، وتحديدها بالسنة خارج مخرج المثل ، مبالغة عن كثير من العبادات وتعيينها ، ولأن الاطلاق فيها محال ، لأن كثيرا منها أكثر من النظرة ، وانما يجرى هذا مجرى المثل مبالغة ، ومثله فى الحديث كثير ، حتى فى النظر الى الوالدة والى الكعبة ، ولكل درجات مما عملوا .

وكيف لا يستأهل ذلك العلماء بالله تعالى ، والقوام بأمر دينه ، والدعاة اليه ، وهم الآخذون بحجز الخلق ، يذودونهم عن النار ، ويدعونهم الى الجنة مع الأبرار ، وربما كان بنفس النظرة اليهم ، لمن نظر باعتبار ، وفكر بانصاف ، تحصل السلامة والنجاة من المهلكة ، كما روى عن عبد الله بن سلام : لما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فأسلم من حينه .

وربما اتفق مثل هذا من بعده لبعض ورثته ، فمقارنة العلماء ، والنظر اليهم ، ربما تنزل البركات على من رزق الهدى ، وتحصل السعادة والفوز لمن رزقا بهم الاقتداء ، وما كان سببا للسلامة ، أو داعيا للاستقامة ، فلا يساجل فى الفضل ، ولا يبارى فى الشرف ، والله ولى كل خير بفضله وكرمه .

وقد تركت الخوض فى كشف معانى الألفاظ وخاصها وعامها ، ومتعلقاتها عجزا وتقصيرا ، واعترافا ، والله أعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسألة :**

ومنه : وهل لأحد من المؤمنين أن يفتخر على أحد من المتكبرين أو المعاندين ، أو على أحد من عوام الناس المجهول حاله ، الذى لا يعرف بخيانة ولا بعدالة ، بعلمه أو بنسبه أو ماله ، اذا رأى ذلك فى نظره ممن يستحق ذلك كيلا يطول ، وبالباطل يصول ، عند أبناء جنسه الخساس المستحوذ عليهم الختاس ؟ أم لا جواز فى ذلك وتركه أولى وأليق ؟

الجواب :

والله أعلم ، وأنا غير بصير بهذا ، فتركه هو الأليق عندى ، لقوله تعالى : (ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) وأى معنى للفخر بالنسب أو الجاه أو المال ، اللهم إلا أن يكون له وجه فى معنى الخاص لدفع ظلم أو فساد بكسر شوكة جبار بذلك .

كما يحكى عن شريك بن الأعور ، لما أراد معاوية بن أبى سفيان أن يسخر منه ، وان كان شريك هذا لا من علماء المسلمين ، ولا ممن يحتج بقوله فى النوازل ، وانما نورد قوله مثلا لما يستجاز فى مثل تلك الحالة ، وهذا نص مقاله :

أيشتمنى معاوية بن حرب
وسيفى صارم ومعى سنان

وحولى من أولى يمن أسود
غطارفة تهش الى الطعان

فان تك من أمية فى ذراها
فانى فى ذرا عبد المدان

وان تكن الخـــلافة فى قريش
فانا لا نقـر عـلى الهـــوان

أو يكون الموضع مما يباح فيه الفخر والخيلاء ، كما قال على بن أبى طالب فى براز ه لمرحب أمير يهود خيبر :

أنا الذى ســمتنى أمى حيـــدره
كليث غـــاب كريـــه المنظـــره

اذا الحرب أقبلت مســـتعمره
أو فيهم بالصـــاع كيل الســـندره

وقـــد كان هـــذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ، بل هو مما يؤمر به لمن قـــدره ، فدل هـــذا أن مثل هذا قد يكون بحسب المقامات تابعا لنيته ، وتوقفا على المصالح ، فلا يطـــلق الحجر ولا الجواز فيه الا على سبيل الخصـــوص والعموم ، لكن ميل النفوس الى اظهار المفاخر ، وطلب الاستعلاء شديد ، فلا ينبغى الا حسم المطامع منه ، واغلاق الباب دونه ، فان الطباع تنجر فيـــه الى ما هـــو غالب عليها ، فيتسلسل الأمر بها لشدة الحب ، لما لوفاتها الى الخروج عن قواعد الشرع ، الا من أمـــده الله بنور منه ، يملك به زمامها عن الاسترسال فيها لا يباح لها ، والله أعـــلم .

فلينظر فى ذلك ، فانه باب واســـع تندمج تحته جمـــل من الأحاديث والآثار ، وليس المراد الآن استقصاء القول عليها ، وفى هـــذا ما يكتفى به من له أدنى فهم ان شاء الله تعالى ، والله أعـــلم .

*** مســـألة :**

وعن ابن عباس : اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباده الصالحين ، تحية من عند الله ، وانتصب تحيـــة بيسلموا لأنها فى معنى تسايما كقولك : قعدت جلوسا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كشاف هـذا التفسير على قوله تعالى : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) •

*** مسـألة :**

ومنـه : وفيمن قال على سبيل التأوه على شيء مضى فيه أو فى غيره والأبتاه وابيداه أو نحو هـذا ، لأنا روينا عن أم المؤمنين أنها قالت : واسوأتاه ، وافضيحتاه ، الشـك منى لمـا أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم باختلاط الرجال والنساء فى المحشر عراة ، وكذا بلغنـا أن الشيخ أبا نبهان ، لمـا بلغه قتل ولده نبهان قال : وانبهان مكررا ذلك ثلاث مرات ، ثم اتبـع ذلك بالاسـتغفار كذلك ثلاث مرات ، هل ذلك محجور على كل حال ؟ أم مباح فى بعض الأحوال ؟ وما معنى واه عندك ، عامنا مما علمت رشـدا لا زلت هاديا من بك استهدى ؟

الجـواب :

الله أعـلم ومما يوجـد فى بعض الآثار أن لفظة واه هى كلمـة سريانية معناها لارضـينا بقضاء الله ، وعندى أن مثل هـذا لا يلتفت اليه ، ولا يعبأ به من غير مخالفة منى لفقهاء المسلمين •

لكن ان صـح هـذا وثبت فمخصوص حـكمه لمن كان قصده ذلك أو معناه كذلك ، ونحن لا نعلم بالحقيقة صـحة ذلك ولا بطـلانه ، لعدم اطلاعنا على تلك اللغـة المذكورة ، ولا ضير على من نطق باللغة العربية بما جاز وصـح من المعانى ، فان وضع العرب للندبة وا ، كمثل وضعهم للنداء يا ، ليتميز الخطاب بين المنادى المحض ، وبين المنادى المستغاث به أو المتعجب منه •

وبين المنادى المندوب على سبيل الاتساع فى اللغـة بتمييز المعانى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعضها من بعض ، ولا بأس بذلك كله اذا لم يقترن به ما يمنعه عى سبيل التحريم من جهة الندب أو النواح لمحرم على الأموات ، أو ما دون ذلك مما يوجب الكراهية ، أو يقضى بأن الأفضل تركه ، والأحسن اجتنابه ، لمن كان من أهل المحاسبة للنفس ، بالمراقبة لحضرة القدس ، تحليا بمكارم الأخلاق من كمالات الآداب الزكية ، استعدادا للتجليات الإلهية ، وطلبا لنيل القرب من رضوان الرب سبحانه وتعالى .

واذن فلا أدرى ما كان من ذلك السيد الفورانى ، والبحر الصمدانى ، رحمة الله عليه فى حال تلك الدهشة بمصاب الولد ، ولكنى أنزهه على على حسن الظن به ، عن تعاطى النوح أو الندب المحجورين ، وان كان يستغفر الله تعالى من ذلك ، فقد كان فيما يذكر عنه عبدا شكورا ، وحقه أن يكون عند الجلاء من المصائب صبورا ، فاظهار الجذع ، وابداء الهلع ، واشتغال القلب به عن حضرة الرب ، هو من سيئات المقربين ، التى هى من حسنات الأبرار المجتهدين ، فيتبعه بالاستغفار أهل القرب من الجبار ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « انه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة » .

وأما على ما تأوله من يقول بموافقة اللفظ السريانى ، فالعارفون لا تجوز نسبة ذلك اليهم أصلا ، ويجب أن ينزه عنه فى كل حين ، كل ذى دين ، ولا يحمل بغير دليل على غيرهم ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فى هؤلاء العصاة من أهل القبلة ، الذين ليس لهم تقية يجوز أن يقال لهم سيدنا ومولانا ، أو السيد عند المساء والصباح ، وان كانوا جبابرة يتقون ، يجوز أن يدعون بذلك مطلقا من غير صرف نية لغيرهم ، أم لا يجوز ذلك الا بصرف النية ، فأخبرنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهـا ، ولمن تصرف له ، وكـذلك وأنا خادمك ، وفلان خادمك ، أيجـوز ذلك مطلقـا أم لا ؟

الجـواب :

أما الجبابرة الذين يتقون فهم فى زمانكم السادة ، والولاه والقادة ، فكيف لا يدعـون بذلك ، وهم كذلك لا يحتاج معهم الى صرف نيـة ، ولا تحويل معنى ولا روية ، ولا يمنع المباح ، وقت مسـاء ولا صباح ، والخـدمة هى العمل والمهنة ، ومن عمل لأحـد شيئا ولو يبرى قـلم أو مـدة دواة فقد خدمه ، فيجوز أن يقال خادمه بذلك ، لغة اما حقيقة بالفعل أو قوة بالامكان ، أى لو أمره بفعل ذلك ونحـوه من الجـائز لفعله أيما رغبة فى فضـله ، وأيما رهبة من بطشه ، فأكثر من تحت هؤلاء الجبارين خدامهم بالفعل أو بالقوة كما ترى ولا بأس .

وأما من لا تقية له ، ولا مخافة منه ، فسيأتى فى حـكمه وحـكم غيره فى المسألة الثانية ان شاء الله وهى هـذه :

*** مسـألة :**

ومنـه : ما تقول فى لفظة سيدنا ومولانا ، أيجوز استعمالهما فى أهل الولاية وغيرهم من حياة الخلق أو ن دونهم مطلقا ، كيف كانوا أبرارا أو فجارا أم هما خاصـتان للحـكام ، الواجب حكمهم على الأنام دون غيرهم من العوام ؟

أرأيت ان كانتا غير جائزتين الا لأهل الولاية وجوازهما لمن سواهم بمعنى التقية ، فهل يجوز ذلك حينئذ بغير صرف نية لغيرهم ؟ أم لا يجوز الا بصرف النية ؟ فأخبرنى عن ذلك ولمن تصرف له مأجورا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

الله أعـلم ، وأنا لا أعـلم بجـواز شيء الا بموافقة الحـق ، ومطابقة الصـدق والعدل ، وذلك فيما أمر الله تعالى به ورسـوله ، لا فيما منع منه ونهى عنه وأن كل كلام ابن آدم عليه لا له ، الا ما كان من ذكر الله تعالى ، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، أو اصـلاح بين الناس ، وما أشبه ذلك .

ألا وان من عرف كلامه من عمله ، قل كلامه الا فيما يعنيه ، لـكن قد تدعـو الحاجة وتلجيء الضرورة ، لمن بلى بخلطة الناس ومعاشرتهم الى المداراة لهم ، والتصـنع تقية أو حياء ، تارة تكون مداهنة ورياء ، فلا بد من تدارك الهفوات بالتوبة والاقتصار على ما جاز .

ألا وان فى الكلام لمن عرف مخارجه ، وأبصر موالجه ، لمندوحة عن الكذب ، ولكن قل من ينتبه اليها الا الموفقون ، فالسيد فى الحقيقة هـو الرب تعالى ، لأنه هو الملك والمالك ، وقـد يطلق مجازا على غـيره ، فسيد العبد مولاه ، والمرأة زوجها ، والقوم كبيرهم ، فجائز أن يقـال للرجل : السـيد ، بمعنى أنه سيد عبيـده أو نسـائه ، أو أهـل بيته عشيرته ، أو من يكون له فيهم الأمر والنهى ، والتقدمة ، فان أضيف فقيل : سيدنا بمعنى كبيرنا ، أو المنعم علينا ، أو كبير القـدر فينـا جاز ، كما قيل : أحسن الى من شئت فأنت أميره ، واحتج الى من شئت فأنت أسيره ، فللأمير سيادة على من أسره باحسانه ، كما للقادر سيادة على المقدور عليه بفضـل قدرته .

فان خرج على هـذه المعانى كلها ، ولم يكن ذا نعمـة ترجى ، ولا بادرة تخشى ، فماله وللسـيادة ، وما المخاطبة له بالزيادة الا أن يكون على سبيل التهكم به ، والاختيار لعقله ، سخرية به ، وما أحق العصـاة البغاة أعـداء الله تعالى بذلك ، فانهم عند الله من الأراذل ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خساس المنازل ، أحقر من الذر، وأدنس من الجعل ، قاتلهم الله أنى يؤفكـــون •

وانما حقت السيادة ، واستحق الشرف والحسنى والزيادة ، من كانت له عند الله ولاية وسعادة ، ولو كان فى دنيانا هـذه أشعث أغبر ذا طمرين لا يؤبه له •

وأما المولى فقـــد يطلق على السيد والعبد ، وعلى المعتق والمعتَق ، والابن والقريب ، والعصـــبة والحليف ، والصاحب والمنعم عليه ، والمحب والناصر ، والتابع والمتبوع ، فوجهه الى ما شئت من معـــانيه ، فانه لاتساعه لا كلفة فيه ، حتى ليجوز اطلاقه على الشريك والنزيل ، والصهر وابن الأخت والجـــار ، فنقول : مولانا بمعنى جارنا أو نزيلنـــا ، أو شريكنا أو قريبنـــا ، أو صاحبنا ، وان شـــئت بمعنى ولينـــا أو ناصرنا أو سيدنا ، أو المنعم علينا وان شئت بمعنى صـــهرنا أو ابن عمنـــا ، أو قريبنا فى النسب ، ان كان كذلك الى ما شئت من هـــذه المعانى كلها أو غيرها ، فما سبق وكفى عن الاعادة •

وأما صرف النيـــة الى غير المخاطب فقيل به فى الأثر ، وكأنه لمن عجز عن مناديح الكلام ، وجهل وجـــوه القول الجائزة فى الأحـــكام ، ولكن صرف النية عن المخاطب فى حال المخاطبة أمر عسير •

*** مســـألة :**

ومنـــه : ما نقول شيخنا ما وجـــدناه فى الأثر ، عن السلف ، أنه لا يجوز خزم الأنف ، أهـــذا من الكتاب أم من السنة أم من اجمـــاع الأمـــة ، أم من الرأى لئلا نعتقده دينـــا أو عكسه ، فاذا ثبت حجره من أحـــد تلك الأصـــول ، ففعل بأحـــد من النساء فى الصغر ، فاذا كبر ، أيجوز لمن فعل به أن يلبس فى الخزم حليـــا بين لنا ذلك تؤجر ؟

الجـــواب :

قال : الله أعـلم ، وأنا لا أحفظ ذلك نصـا من كتاب الله تعالى ، ولا من صريح السنة المجتمع عليها ، ولكن جـاء به الأثر ، ولا نعـلم فيه اختلافا ، وكأنه لا يخرج فى النظر غيره ، اذ لا يجوز فى شىء من الأعضـاء خرقه لحـلى ، ولا غيره الا ما خص بدليـل كالأذن ، والا فسائر الجسد كله يحرم ذلك فيه ولو أمكن ، والقياس فيه على الأذن ممنوع ، وأخاف أن يثبت هـذا فى الاجماع ، والله أعـلم •

واذا ثبت الثقب فيها من الصـغر ، أو على ما جاز ، أو حجر فى الأصـل ، فعسى أن يمنع استيداع ذلك الحـلى الا لضرورة تمنع منه ، ولا يبعـد أن يقـال بالمنـع منـه ، أو الكراهيـة ، عقـوبة لفعـل ذلك ، كمـا جاء الأثر بمثـل هـذا فى بعض الأحـوال ، فلا ينفـك عن دخول الاختلاف عليه ، فيما يتجه لى ان ضـح ما أراه ، فلينظر فيـه ، والله أعـلم •

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقول فى رجـل ابتلى بخروج المنى فى اليقظـة ، مع انتشار ، أيجوز له اذ أحس بالانتشار ، وخروج المنى أن يعبث بيـده خوفا من أن ينجس ثيابه اذا لم يرد بذلك خروج الشهوة عمـدا منـه على ذلك ، بل قـد ابتلى ، تفضـل أوضح لنا وجوه العبث اذا كان لغير ضرر ، أهو حرام البتـة ، ويكون دون الزنى أم مكروه له ذلك ولا يبلغ الى معصـية ؟

الجـــواب :

يختلف فى هـذا فقيل فى العبث لقضاء الشهوة : أنه الزنى الأصغر وهو حرام ، وقيل : انه يحرم اذا كان باليد لحـديث ورد فيه ، وقيل :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اذا كان فعله ذلك خوفا على نفسه من العنت ، أو لمعنى مباح ، كما تذكر أنه من خوف تنجيس أنه لا يحرم ، لكن خوف تنجيس الثياب ، يمكن دفعه بوقاية يجعلها لذلك ، أو شدة خوف العنت على نفسه ، أو الاشتغال بذلك فى صـلاته ، وأكثر قوله منعه على حال وجوازه رخصة فى حال الضرورة قـد جاء به الأثر .

وقـد كان الشيخ ناصر يجيزه بمن اضطر اليه ، ويدخله القول بالتكريه ، ولا يدفع ضرر ذلك الا التزويج ، ولهذا جاء فى الحـديث : « يا مشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يسـتطع فليصـم فان الصـوم له وجاء » وأصـل الوجاء رض خصيتى الكبش حتى لا يستطيع الضراب .

ولهذا قيل : من تزوج فقـد أحصن ثلثى دينه ، ولغـير ضرورة ولا مخافة عنت ، وفساد فى دينه أو فى جسده من اجتناس المنى فلا أعلم أن أحـدا قال بجوازه ، والله أعـلم فلينظر فيه .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقول فى قول الداعى لله يا أملى ويا رجائى أواسع ذلك ، وحسن أم غير لائق ، فقـد ساغ لبعض ومنعه آخرون ، وحجة من أجازه أنه أقيم المصـدر مقام المفعول ، كما يسـمى الخلق بمعنى مخلوق ، والقبض بمعنى مقبوض ، أوضح لنا ذلك مأجورا ؟

الجـواب .

أما قول الداعى يا رجـائى ويا أمـلى محتمل الجـواز على ذلك التقدير ، فلا مانع منـه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسألة :**

ومنه : وهل يجوز للانسان أن يقضى حاجته من بول أو غائط فى ظل شىء من الأشجار ، من سدر أو نحوه ، ان لم تكن مثمرة ، ولا ملك لأحد فى شىء من الأودية ، أو فى شىء من الفيافى والقفار ، ان كان من عذر من مطر أو من حر الشمس ، أو يتوارى عن الخلق ، أو كان ذلك من غير عذر مما ذكرت مختارا لنفسه يجوز له ذلك أم لا ؟ وكذلك فى كهوف الجبال يجوز أم لا ؟

الجواب :

كل ذلك جائز ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وفيمن له نفس خبيثة ، وتتأمل طول الأمل وأشياء عنها بعيدة من اصلاح دين أو دنيا أو ما أشبه ذلك ، وبينها وبين ما تتأمله مسافة بعيدة ، ربما انها لا تقطعها .

وبالجملة ففى الحديث الذى يقع فى النفس من مثل هذا أو ما أشبهه يكون منها أو من وسوسة الشيطان ، أم من كليهما عرفنى ذلك ، وهل يجوز لمن ابتلى بذلك أن يراجع نفسه بالتوبيخ واللوم ؟

الجواب :

الأمل صفته كما ذكرت ، ولا يخلو منه أحد ، والرجوع اليها بالتلويم والتوبيخ ، ومخاطبتها بذلك هو من أدب الصالحين وعلماء الآخرة ، هكذا فعلهم ، ويؤجر العبد عليه ان كان من المتقين ، والله أعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسألة :**

وفيمن بلى بشيء من الآلام فى وجه ، أيجوز له أن يكشف عورته على النار اذا رجا بذلك شفاء ، وكذلك من البرد الشديد ، ويكون ذلك فى خلوة من الناس ليلا كان أو نهارا ؟

الجواب :

ذلك جائز .

*** مسألة :**

ومنه : على أثر مسألة عنه يوجد فى الأثر : « سابقوا العطاس فى التحميد » أيكون هذا بالطاء المشددة والعين المضمومة المراد به الجمع من الناس ؟ أم العطاس المرء بنفسه يحمد الله قبل أن يعطس ؟

الجواب :

يحتمل هذا ، وهذا كله جائز .

*** مسألة :**

ومنه : وقد يوجد فى الأثر : « حق الجار على جاره أن يكسيه » أيكون ذلك من لازم حقه ، أم يكون فى الطعام لا غيره ، وكذلك الجار اذا كان فاسقا ظالما جبارا لا يصلى ولا يصوم أيكون له حق الجار الذى يجب للمستحق ، ويكون حقها سواء ؟

الجواب :

حق الجار لكل جار ، ولا يلزم الجار أن يلتزم الكسوة له ، الا أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يكون فى مخصوص ما يجب من حقوق الاسلام فى موضع القدرة لدفع ضرورة ، أو وجوب حق لا غير فيما يبين لى ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وفيمن خلا بنفسه فى موضع مستتر لقضاء حوائجه من بول وغائط ، فاذا احتاج الى من يناوله شيئا من الحجارة ، أو من الماء ، أيجوز له أن يصوت بصوت خفيف الى أحد من أولاده ، أو من زوجاته ، أو من عبيده ، أن يناولوه شيئا من ذلك ان كان بينهم وبينه ستر لا ينظروا الى شىء من عوراته ليلا أو نهارا عرفنا ذلك ؟

الجواب :

لا بأس بذلك ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فيمن حج البيت الحرام ، وأراد هنالك المقام طلبا للخمول فى نفاده ، وهربا من الشهوة والسمعة فى داره ، وحبا للالتجاء بجوار الله خوفا من ناره ، ثم هو ممن لا يمنع من الخروج بأهل ولا ولد ، فما ترى على هذا أفضل له من مقامه هنالك أو بعمان ؟ تفضل علينا بما علمك الله من البيان ؟

الجواب :

ومن الله نستمد الصواب ، قد ثبت فى صحيح الحديث فضل مكة على جميع أرض الله ، هكذا قيل : ان الروضة المشرفة ، ومضاعفة الحسنة الى مائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدها أفضل مطلقا ، والطواف به ، والنظر اليه ، كله عبادة ، وفضائل ذلك لا تستنكر ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكيف لا يحق طالبها ، وبذل الكلية فيها ، أم كيف لى بمنع عبد عن بذل جهد فى خير قصد لعباده مولاه ، الذى سواه ، ملتجئا ببابه وعائذا بجنابه ، ويصدق عبوديته ، لبذل كليته ، وعائذا بظله ، طمعا فى فك غله ، من شر آثامه ، وقيد اجرامه ، وحبس ذنوبه ، فى سجن عيوبه ، وقصدا لجمال حريته ، بخالص نيته ، لبذل كليته ، متلقيا للقاء مولاه ، كما يرضاه •

فمن ذا له يمنع ، ومن يقطع ، الا من سفه نفسه ، ورضى نجسه ، لا بدليل ، ولا بايضاح سبيل ، ولا يرد ذلك بما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يصرف الناس عن المقام بمكة ، فانه نظر منه لمعان تليق بالمصروف ، هذا فى النظر من حيث الأصالة للمجاورة •

وأما لحسب العوارض فيها أحكام كثيرة ، فالمجاورة تكون فاضلة ، وتارة مفضولة ، وأخرى أفضل ، وتارة تكون واجبة ، ومرة ممنوعة ، وفى حال تكره ، ومن تحقق بما ذكرناه فى المسألة السابعة لم يشكل عليه ذلك •

وأما من قنع من لبابها بالقشور ، ولم يكشف له عما وراء الستور ، فمحال أن يصل بها الى حقيقة ، أو يستكشف بها دقيقة ، والرجوع الى ذلك أو مثله مرة أخرى مما يطول به الكتاب ، ويعلو درجة الاطناب ، فاقنع بما صار اليك ، فالقلوب مسخرة مأمورة ، بيد القدرة مقهورة ، وقد حكم العقل بأن الأهم فى هذه كشف ما يليق بحال هذا السائل ، عن هذه المسائل ، لكونه ضعيفا عن مأخذ النظر ، وهو أهل أن يغنى بحاله ، فيدل على ما فيه رتبة كماله ، لأنه بيت الحكمة ، ومزرعة النصيحة ، ومصلى العبادة ، ومورد الزهادة ، فلذلك وجبت له الرعاية ، وحقت به العناية •

فأقول له : قد رأيت من شمائلك بواعث وقواطع ، ودواعى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وموانع ، أما البواعث عنهـا سائل ، وأما الموانع فكأنك عنهـا غافل ، فلا بد من وقوف لديها ، للتنبيه عليها ، فقـد تحصـل بالجملة فى تلك المجاورة أربع آفات :

الآفة الأولى : قطع صـلاة الجماعة وفضائلها ، اذ ليس فى الدار الا أهل الخـلاف ، ومن أمثال هـذه : قطع صلاة الاخوان والأرحام ، وشد عضـد الاسلام ، وان لم يلزم فانما هى تفويت فضائل •

الآفة الثانية : انك ضـعيف العـلم ، قليل الفهم ، فكيف بك اذا طرقتك طارقة ، من لبس وسوسة النفس ، فى عـلم التوحيد أو غيره ، من مغاصـات الحقيقة ، أو مغاصات الشريعة ، ولو بالشك فى كلمـة لا يسع الشك فيها ، وليس ثم من تأمنه على التقوى ، ولا من تعرف منه طريقة الهـدى ، وقـد قيل فى المثل : ان الشيطان كالذئب يأخـذ البعيدة القاصية ، والقريبة من أهلها منه ناجية •

ولذلك قيل فى الضـعيف : ان العزلة لا تصلح له ، لأن أقل حالاته تبقى كالبهيمة ، لا تزداد علمـا فيشفيك به منه حـكما ، وبذلك قال مولانا سـبحانه وتعـالى فى الأعراب : (وأجـدر ألا يعلموا حـدود ما أنزل الله على رسوله) (١) ولئن تستفيد من العـلم مسألة واحدة تعينك خير لك من عبادة أهل الأرض أبدا •

وفى وصايا لقمان لابنه : يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ، فان القـلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض بوابل المطر •

فان قلت : فهنالك أجالس العلماء ، وأزاحم الحـكماء ، ولو أن من أهل الخلاف ، فان الحـكمة ضالة المؤمن ، يأخذها من حيث وجدها •

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٧ •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قلت : هـذا شحيح ، ومنهج نجيح ، ولكن لا يؤمن على الضعيف أن تطرقه منـه •

الآفة الثالثة : وهى الركون الى ما يجهل باطله (ولا تركنـوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) وبالطبع يسرق من الطبع ، ونفس النظر له تأثير لا ينكره من جربه ، فمن أدام النظر الى الحزين حزن ، أو الى المفارح فرح ، وربما أثر فى الظاهر كالباطن ، كما قيل : ان اكثار النظر فى وجوه الموتى يورث صـفرة الوجه ، وقـد شـوهد بالتجربة تأثير للباطن بالنظـر على وفاق المنظـور ، من ذى زهـد أو حكمة ، أو بطالة ، وكذلك فى السماع ، ومن شاهد المبتدع ونظر فى أعماله ، وسمع من أقواله ان كان ذا بصر فى الدين ، وكمال فى اليقين ، زاده ذلك شكرا ، وأفاده عظـة وفكرا ، وأعاده حمدا وذكرا ، ورجع عنه محروسا منه ، مقدس الباطن بالصـون ، محروس الظاهر بالمصون الا ما شاء الله •

وان كان ضـعيف علم ، وقليل فهم ، فلا بد أن يبقى منه فى شبهة والتباس ، فيحتاج الى عـلاج لمـا يأتيه من الوسواس من جهاتهـا ، اذ لا ترى المخرج من شبهاتها ، فينقطع فى ذلك زمانه ، وتتكدر عليـه أحيانه ، ولئن ركن اليها فعول عليهـا ، وهى فى الأصـل باطل ، ولو فى ولاية أو براءة فيما مضى من حـكم الأئمة ، ففى مثلها يرتبك العاقل ، ويحير الجاهل ، فهى مهوات تهافت فيها العلماء ، وتهاوى اليها الحكماء ، الا ما وقى الله •

وليس بمستنكر صـبوة القلب اليهم فى اعتقـاد وانقفـاء الخروج من الدقائق ، لا يكون الا الذى عـلم جم ، أو مصمم على تقليد ، لكن يختص هـذا الأخير بما يعـلم فيه ما عليه أصـل مذهبه لا ما عداه ، وعسى يقول الغافل : ان مثل هـذا مأمون الغائلة ، وقـد استقر الأمر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بحمـــد الله ، فلا التفات الى مخالف ، فيقال له : هـذا الجواب منكر مجـازفة لا تحقيق ، بل الحق أن الميـل الى ما يعـلم باطـله هـو مأمون الغائلة .

وأما ما حسن فى الاجتهاد ، ودق عزله عن الفساد ، فهو مخوف قـد زل فيه الجهابذة ، وكثرت عليه المنابذة ، ثم من ذا يؤمن من سكون الى ركون ، وما تسمع من قوله تعالى فى حق أعـلم الخلق بالضـلال من الحق ، قال : (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينـا غيره) ليعتبر العاقل هـذا مع غزارة علمه ، وسعة فهمه ، ونفاذ بصيرته ، وكمال عقله ، وشـهامة رأيه ، وتصـلبه فى الدين ، وتأييده بناموس الوحى ، وتسديده بأنوار النبوة ، ثم يقال : (لولا أن ثبتناك لقـد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) .

ثم تبرز اليه قوارع التهديد ، بجوامع الوعيد ، فيقال له : (اذن لأذقناك ضـعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجـد لك علينا نصيرا) فخلطة أمثال هؤلاء عظيمة الضرر ، فالحـذر الحذر ، يا من أشفق على نفسه ، فان سلم من الركون ، ونجا من السـكون ، استقبلته .

الآفة الرابعة : وهى مداهنتهم على ذلك ، ومداراتهم هنالك ، وقد كان من جميع ذلك فى سلامة ، والتصلت فى الدين واجب ، ولا سيما فى حال تفوههم بالضـلالة ، وتخطئتهم للمحقين جهالة ، فهذا ولم يتعرض لشرح أصـوله ووجوهه ، وبيان عمومه وخصوصه ، وانما سقناه نموذجا ليقس عليه السائل فى نفسه ، ثم بعد ذلك نظرت فى مقامك بعمـان ، فوجدته لك نعمـا دينية يحـلو مذاقهـا ، ويمر فراقها ، أفلا أذكرها لك تنبيها عليهـا :

فاعـلم أن النعمة لا يعرفها مادامت موجودة الا قليل ، لذلك قل الشكر بدلالة : (وقليل من عبادى الشكور) ومن لم يعرف النعمـة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلبت عنه وأخذت منه ، فعرفها ضرورة بعد فقدها ، كما لا يعرف قدر الصحة الا السقيم ، ولا قدر الغنى الا العديم ، ولذلك قال ابن عطاء الله : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها •

وكذلك قيل : من لم يشكر النعم بوجدانها ، عرف بفقدانها ، فنسأل الله أن يمدنا بواسع الفهم عنه ، (وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) لكن يفتح لك الباب ان شاء الله بما يختص به فى مقامك بعمان •

النعمة الأولى : وجود عون الطاعة ، كصلاة الجماعة •

النعمة الثانية : كما تختص بالحال ، كصلة رحم أو أخ أو نفع مسلم •

النعمة الثالثة : وهى أعظم سلامة الدين من شبه الضلال ، ومن تمويه أهل الضلال والبدع ، شياطين الخدع ، أولى السنة حداد ، وتلبيسات شداد •

النعمة الرابعة : تكثير سواد المسلمين ، فى شد عضدهم فى الدين ، لأن منشأ فساد العلم كله من كثرة الطلاح ، وقلة أهل الصلاح ، كما قال الشافعى شعرا :

ولا تخرب الدنيا بموت شرارها
ولكن بموت الأكرمين خرابها

واذا خلا المصر من صلحائه خرب ، ولا يكون الخلو الا بنقصانهم واحدا واحدا ، والموت وغيره سواء ، أو لم يروا أن الأرض تنقصها من أطرافها ، وكما ترى أن هذا الدين لم يبق منه الا رمق فى هذه

الأرض المباركة ، وان لم تداركه عناية الله أوشك أن تنقطع أمداده ، وينهد عماده ، ولا جرم أن عماد الدين يعود غريبا كما بدأ غريبا .

ألا يا من أراد الأفضل ، عليك بما يعز الدين ، ويقوى المسلمين ، فهو الأفضل ولو لم تستطع الا بلسان الحال ، وسيأتى هذا ثانية ان شاء الله .

النعمة الخامسة : اذا عنتك همة دينية ، تحتاج فيها الى سؤال وطلب علم ، فالمعبر موجود بحمد الله ، وان قل العلماء ، وذهب الحكماء ، فلا بد فى كل زمان من قائم لله هاد ، الى سبيل رشاد ، وان قل العلم النافع فى دار أهل الاستقامة ، فهو فى غرهم أقل ، ولا تجمع الأمة على ضلال ، وهذه النعمة هى أعظم النعم الدينية ، فراعها حقها .

النعمة السادسة : أنك قد صرت للناس والعمل قدوة ، ولهم فيك أسوة ، فيارب أخ يقتدى بسيرتك ، ويهتدى بطريقتك ، لما يسمع من أقوالك ، ويرى من أعمالك ، ويشاهد من أحوالك ، ولئن ينفع الله بك مسلما واحدا خير لك من ألف حجة وعمرة ، وزيارة ومجاورة ، وفك رقبة ، واطعام فى يوم ذى مسبعة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، فانه نوع من الجهاد ، وقيام العدل فى العباد .

فالامامة فى العلم نوع من الامامة الكبرى ، والامامة فى العمل نوع من الامامة فى العلم ، ومن دعى الى الله تعالى بمقاله وأعماله وأفعاله ، مبلغ جهده وطاقته ، فقد بلغ فى درجته مقاما عظيما من رتب الخلافة الكبرى التى هى سهم الأولياء ، من ميراث الأنبياء ، عليهم السلام ، فوالله ما أرسل الرسل الا لذلك ، ولا قام النبيون الا بذلك ، ألا فابذل فيها نفسك ، واقطع بها دهرك ، ولا يمنعك من

ذلك مما ترى من نفسك ، من عدم الصفاء وقلة الوفاء ، وكثرة الجفاء ، وقل الحمد لله ، أعطى ومنع ، ووصل وقطع ، لا اعتراض عليه فى ملكه ، يدبر الأمر على مشيئته ، تلك سنة الله فى عباده ، ومن لم يرض بقضائه ، فليفر من أرضه وسمائه ، الا فاكشف عنك الستور ، فهذا أوان الظهور ، كما قيل شعرا :

فبح باسم من تهوى ودعنى من الكنى
فلا خير فى اللذات من دونها ستر

وفى مثل ذلك كما قال امام الصوفية عمر بن العارض :

خلعت عذارى واعتذارى لابس
الخلاعة مسرورا بخلعى وخلعتى

وخلع عذارى فيك فرضى وان أبى
اقترابى قومى والخلاعه سنتى

وليسوا بقومى ما استعابوا تهتكى
فأبدوا قلى واستحسنوا فيه جفوتى

وأهلى فى دين الهوى أهله وقد
رضوا لى عارضوا واستطابوا فضيحتى

انتهى .

فهذا مقام شريف ، وأمامك فيه ألف نبى ، وأربعة وعشرون ألف نبى ، منهم الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر ، ومن بعدهم أبى بكر وعمر ، وأعلام الصحابة والتابعين جميعا ، والساعة فى هذا المقام خير من عبادة الثقلين فى مكة أبد الأبد ، فهذا ما يفتح لى مما يليق بك ، وفى بعضه للمتدبرين مقنع ، ثم نظرت الى البواعث التى دعتك فوجدتها ثلاث فوائد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفائدة الأولى : طلب الخمول والهـرب من الشـهرة والسمعة فى دارك .

الفائدة الثالثة : الالتجـاء بجوار بيت اللـه ، خـوفا من ناره ، بلغك الله أملك (١) ، وضاعف بفضله عملك .

ثم نظرت هل فى مقـامك بعمـان شىء من العـوائق فلم أجـد إلا ما أشرت اليه من معنى الشهرة والسمعة ، ولذلك فلابد ان شاء الله من كشف الغطاء ، عن هذه الوجـوه ، فاسمع لها إما تضعيف العمـل وشرف البقعة فهو صحيح ، ولكن فى التحقيق ان شرف البقاع لا ينقاس بغيره من مزية فى الدين ، ولو أدنى فضل فهو أفضـل من شرف البقاع ، وانمـا يختص تضعيف شرفها ، بمن كان له المقـام فيهـا أفضـل ، فيتضاعف له فضل المكان والوقت والحال .

وأما دون ذلك فالمكان مفضـول لا شك ، وإلا فانظر بعينك فى أشراف الرجال ، فاسأل عن ادريس ونوح وهود ، وصالح وابراهيم ، واسحاق ويعقوب والأسـباط ، وموسى وهـارون ، وداود وسليمان ، وأيوب ويونس عليهم السلام ، أين ديارهم ، وهـل ثبت فى شىء من الخبر جوارهم ، أم تراهم اختاروا لأنفسهم من الدون ، من مقـامات الهون ، حاشاهم من ذلك ، وان حل بها آدم واسماعيل عليهم السلام ، فيما نيـل فهى لهم كمـا لغيرهم ، وشرفهم بكمالات الـدين وصفوة اليقين ، لا بهـا .

وكذلك كانت هى فى حـق النبى صلى الله عليـه وسلم ، اذ بعث فيهـا ، وكان شرفها به لا شرفه بهـا ، ثم أخرجه الله عنهـا ، وكان

---

(١) ترك المؤلف الفائدة الثانية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد خروجه أعظم منزلة ، وأكثر عمـــلا ، وأشرف قربا عند الله تعالى ، فما لى أراك يا أخـــى تكثر التلفت الى ما ظهـــر من الشرف من عمـــل أو مكان أو زمان ، وكأنك عن بحر الحقيقة ، وأصـــول الدين ودقائقـــه بمعزل ، أم تظن أن البقـــاع هى التى تقرب الى الله زلفى ، أو تدفـــع سهما جاحدا من القضـــاء ، هيهات ألا ترى ما كان على أبيـــك آدم عليه الســـلام ، وهو فى الجنة ، ان فى ذلك لعبر لأولى الألباب .

وأما قولك : طلب الخمول والهرب من الشهرة والسمعة ، فهـــذا صحيح ، ولكن فيه دقائق لا يعرفها إلا البصراء بحقائق الدين ، وقـــد اعتبرت فى أمرك فقلت : يا للعجب ، أى خمول أعظم مما أنت فيـــه ، فهل تقدر على تغيير منكر تراه بعينيك ؟ أم هل تقـــدر على نصرة مظلوم بين يديك ؟ أم هل تقـــدر على دفاع المعتدين ، أم هل تقـــدر على اقامة أعلام الدين ، أم هل أنت فى الناس إلا كمـــا قال موسى عليـــه السلام : (لا أملك إلا نفسى وأخى) ثم أنت لا تملك إلا نفســـك ، ثم لو ملكتها لفزت وربحت ، وانما الخـــوف من التقصير فى ماكهـــا ، فما صفة الخمول .

أولا تخبرنى يا من طلـــب الخمـــول ، وإلا فأنا أخبرك انه هـــو الخمول ، ثم لو قيـــل : ان نفس الشهرة حـــرام ، لكان هذا من تكليف الشطط ، لأنهـــا ليس من فعل العبد ، وعلى الحقيقة فالشهرة بالفضل ، هى نوع فضل من الله تعالى ، يكسوه من يشـــاء من عباده ، وأشـــهر المشـــاهير به جبريل وميكائيل ، ومحمـــد وابراهيم ، وآدم والرســـل والأنبيـــاء والأولياء ، والأئمة والعلماء والعباد والزهاد ، وتلك ســـنة الله تعالى فى صالحى عباده ، وهو قادر على قطعها ، أو مريد لدفعها ، فيضاد اختيار الله لعباده فى بلاده ، كلا فذلك ما لا يدعيـــه عاقل .

ومن أراد أن لا يذكـــر بالجميـــل ، فـــلا يفعـــل الجميـــل ، فان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل اناء بالذى فيه ينضح ، وكل بما فيه يذكر ، وقد صح أن ليس ذلك بمذموم ولا مستنكر ، وأما الفاسد منه حب الشهرة والسمعة عند الناس ، لأجل التزكية والمدحة والثناء ، فهذا قادح فى صدق العبودية ، والاخلاص للربوبية ، إلا اذا كان لغرض دينى محمود كما قال ابراهيم عليه السلام : (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) •

واذا كان ذم الشهرة انما هو لأجلها رضى فى القلب من حب المدحة بها ، والتصدى لذلك ، والعمل له ، فالحب عرض فى القلب لا يزول ببعد الجسم ، وصيانة القلب فى البعد والقرب سواء ، فكيف اذا كان فى البعد أشد لما يلاحظه من شهرته بالخروج ، والمجاورة فوق الشهرة السابعة ، فتجتمع فى الأولى مرة أخرى ، ولو كان فى وطنه أسلم من هذه الثانية ، وبعد هذا فعسى أن أقول لك : ألا فارتفع بهمتك عن ملاحظة الناس ، وقدس قلبك من هذا الوسواس ، فانك ان نظرت الى قول الناس ، وجدته مجازفه من دون تحقيق •

وقد كان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه اذا مدح يقول : اللهم أنت أعلم بى منى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، فاجعلنى خيرا مما يقولون ، ولا تجعلنى شرا مما يظنون ، فانظر فى هذا الكلام ، وتدبره فانه شحون من الحكم ولائق بمقام الصديق الأكبر رضوان الله عليهم •

ثم اذا نظرت الى الحقيقة فى نفسك ، علمت انما عدا علم الله باطل لا يضر ولا ينفع ، وعلم الله غيب لا تطلع عليه ، ثم ان الناقد بصير ، إلا أن يتداركه الله برحمته •

ثم اذا نظرت الى نفسك حق النظر ، علمت أنها فى محل الخطر ، لكثرة التقصير والخلل ، وقلة العمل ، ومع هذا فليس بالرد الى قول قائل : فأحمق الناس من ترك يقينه لظن الناس به ، عافانا الله من ذلك •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإياك أن تسكن الى غير مولاك ، فلا تطلب خمولا ولا شهرة على القطع، فانك ان تطلب أحدهما وكلت اليه ، فمن أحب الستر فهو عند الستر ؛ ومن أحب الظهور فهو عند الظهور ، ومن أحب الله تعالى فوض الأمر اليه ، وأحب ما يختاره له ان شاء الله ستره ، ضرب عليه سرادق الصون فأخفاه ، وكان من الشعث الغبر الذين اذا حضروا لا يعرفون ، واذا غابوا لا يفقدون ، وان شاء اظهاره ، وبسط أنواره ، أبرزه الناس اماما ، وجعله فى الدين قدوة ، وفى الأرض حجة ، وعامله بما عامل به السلف الصالح من لدن آدم أبى البشر ، الى محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم أبى بكر وعمر ، والصحابة والتابعين ، من عالم وعابد أخبارهم منشورة ، وفضائلهم مأثورة ، ودعواهم بالمدح مذكورة ، يقولون : (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما) .

فلله ما أطيب لهجتهم ، وأسنى طلبتهم ، وأعلى همتهم ، ام يرضوا بالأدنى فتنافسوا فى المقام الأعلى ، وسألوا المنصب الأسمى ، وهو مقام الأئمة والقادة ، وأعلام السادة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

فهل لك يا أخى من رأى فى ترك التحكم على مولاك ان رفعك أو وضعك ، فسلم لاله العباد ، وارض لنفسك ما أراد ، وقل : اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر ، فانه أسلم لدينك ، وأكمل ليقينك ، وإياك أن تغتر بزخرفة جهلاء المتصوفين من المتعسفين ، طلبوا الخمول وجهلوا الأصول ، فخالفوا الشريعة ، وحالفوا الشنيعة ، وتعاطوا من المنكر ما لم يأذن به الله ، كالذى حلق لحيته ، ولبس المخلاة ، فصاروا بالغرة لعبة لأبى مرة .

اللهم وفقنا للسداد واهدنا الى سبيل الرشاد .

وأما قولك نلتجىء بجوار الله الى آخره ، فهذا صحيح لا قول

فيه ، ومليح لا دخـل عليـه ، إلا أنى على أثـره أقول : يا من أرادا الالتجاء ، وأظهر الاشتكاء ، وأكثر النوح والبكاء ، ما تريدون ومن تريد ، هاهو أقرب اليك من حبـل الوريد ، صفاته هاهنـا هى صفاته هنالك ، وهو هنـا كما هو هنـاك ، رحمته وسعت كل شىء ، وفضله شامل كل حى ، غفـار لمن تاب ، راحم لمن أناب ، أظهر الجميل ، وستر القبيح ، ولم يؤاخذ بالجريرة ، ولم يهتك السريرة ، عظيم العفو ، حسن التجاوز ، واسع المغفرة ، باسط اليدين بالرحمة ، مبتدىء بالنعم قبل استحقاقها •

ألا فصحح منك العبودية ، وقم بحق الربوبية ، فان قربه قربك ، وبيته قلبك ، ولا سفر اليـه إلا أن تخـرج عن ديار مألوفاتك ، واقطع بحار آفاتك ، على سفر عزماتك ، ثم الرفيق قبل الطريق ، ولا رفيـق فى هذه المقاطع ، سـوى العلم النافع ، وتزود فان خير الزاد التقـوى وخذ الحذر عن مكان من الهوى ، فان شنت عليك الغـارة ، من جنود النفس الأمارة ، فطلقها بالعقل وجنوده ، واحذرها عن مجاورة حدوده ، فان طغى سلطانها ، وبغى شيطانها ، فاستعن عليها بعساكر الزهاده ، واحبسها فى سجن العبادة •

فاذا دفعت شرها ، وأمنت غرها ، فقد انتهت الى حـرم الحماية ، وتراءت لعينك كعبة الهداية ، فادخل من باب العـرفان ، وطف ببيت السلطان ، وخر لديه على الأذقان ، واشرب من زمزم الوفاء واخـرج الى صفاء الصفاء ، واسع ما بين أولى القوة ، الى كمال مروة المروة ، فان منى المنى ، ومشاعر المغناء ، فى عرفات الأذكار ، وافاضة الأنوار ، فى جميع الأسرار ، فارم مجار العلائق ، وانحر حمر النعم من العوائق ، وجد فى الاسراء ، بالليلة الليـلاء ، الى مسجد الأقصى فانك يا موسى ، بالواد المقدس طوى ، فاخلع نعلى الهوى ، والبس خلع التقوى ، وانتظر دك الطـور بتجلى النور ، فعسى أن تسمع نـداء النـار ، فى حضرة الأشجار ، فتطوف على الأفلاك ، بين الأملاك ، بالبيت المعمور وتأخذ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالقـوة الالهية الكتـاب المسـطور ، ففيه سلوك المنهـاج ، وحديث المعراج ، الى سدرة المنتهى ، وجنة المأوى ، وقاب قوسين أو أدنى •

من الله علينـا وعليكم وإياكم بمعرفته ، وأفاض علينـا شربة من رحيق رحمته ، ووصـل حبلنا بحبله ، وبدل هجرنا بوصله ، واسـاءتنا باحسانه ، وذنوبنا بغفرانه ، وتجاوز عنا بفضله ، ووقانا ما نحن من أهله من عدله ، وحفظ علينـا خواتم أعمالنا ، واسـتقامة أحـوالنا ، وبلغنا صالحات آمالنا ، وفعل ذلك لجميع المسلمين انه أرحم الراحمين •

هذا وانى بعده لأقول : هذا ما فتح الله ولا أبالى ، بضعف حالى ، وتكدر بالى ، وقلة أعمالى ، وكثرة انشغالى ، بقواطع أشغالى ، ولولا أن أمنع الحكمة أهلها ، لكان السـكوت بى أولى ، والكف عن الخطـاب أحلى ، لكن أبى الله إلا اظهـار ما يريد ، فهو المجيب والمفيد ، فانما أظهره على لسـان عبده ، لهو هدية من عنده ومن رفده ، ومن اطـلع على هفوة منى وزلل ، أو بان له عام القصـور ، فى كثرة الأمـور ، افقد شرط أو من يد بسط فى موضع الايجـاز ، والعكس بالإنجـاز •

فليعلم أنى قد تركت كثيرا من الوجوه والجمـل ، واضربت على كثير من التفسير والعلل ، وانما تعرضت غالبا لمـا أحببته لهذا السائل ، من كشف الوسـائل ، فلذلك ربمـا أكتفى بقرينة الحـال ، عن تفريع المقـال •

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، وصـلاة الله وسـلامه على سيدنا محمد وآله ، والحمـد لله رب العالمين •

*** مسـألة :**

ومنـه : ومن كان عاريا فى المـاء ، فى موضع ستر أيجـوز له أن يقوم منتصبا عاريا حتى يستوى معتدلا ، ثم يلبس ثيـابه ليـلا كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو نهـارا ، وكذلك اذا أحس بأحـد أن يدخل عليه ، ولم يترك لـه علامة يعرف القـادم أن هنـالك أحـدا ، وكان ليـلا أيجـوز له أن يتحمحم له أم كيف يصنع ؟

الجـــواب :

كل هذا لا بأس به ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : فيمن كان على غير طهارة من بول أو غائط أو جنابة ، فاذا عطس أيجـوز له أن يحمد الله سرا أو جهرا ؟

الجـــواب :

لا بأس به لكن الجنب يقول الحمد لله ، ولا يتم قوله : الحمد لله رب العالمين ، والله أعلم فلينظر فيه .

*** مسـألة :**

ومنـه أجارك الله تعالى ، فيمن به ألم فجـاءه رجل لا يعـرفه صادقا ، أم غير صادق بارا أم فاجرا ، موافقا لدينـه ، أم مخالفا على غير دينه ، فادعى المعرفة لكيه ودوائه عن دائه ، أيجـوز له أن يحسن بـه الظـن ، ويمكنه من بشرته لكيه ، ويتداوى بدوائه ، ولا يعـرفه طاهرا أم نجسا ، حـلالا أم حراما ، ويكافئه عن كيه ودوائه بأزيـد عن حقه ، من غير شرط بينهما ، وفي نيتـه لله تعـالى طلبا للشـفاء ، والله الشـافي والمعـافي ؟

الجـــواب :

ان كان هو أمينا أو انسـانا شهرت له معرفة في ذلك ، ولم يخف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منه خطر من دوائه أو من كيـــه على نفســـه ، فلا يضيق عليه استعماله ، على قصد التداوى والشفاء ، ولولا ذلك لضـــاق على الناس العـــلاج ، وأما أن يكافئه بأكثر من حقه ، فجـــائز وذلك اليـــه ، والله أعلم •

* مســـألة :

ومنـــه : وفى الحج نافلة أهو فضيلة وبه يؤمر ، أم فيـــه كراهيـــة وعنه بزجر ، فيقال فى حق فاعله : انه كمن يبنى قصرا ويهـــدم مصرا ، وما معنى هذا الكلام ، وما وجـــه المفاضلة بين الحج والصلاة والصيام ، أو النفقه على فقراء الأنام ، تفضل علينـــا بالجواب ، وأوضح لنا طريق الصـــواب ؟

الجـــواب :

أما ايضاح الطريقة فليس الى ، ولا كشف الحقيقة بيدى ، لكوننى فى مقـــام العجز عن العثور بهذا الكنز ، مع ما أنا فيـــه من قلة النباهة ، وكثر ة البلاهة ، فكيف لى باطـــلاق العنـــان ، لمجـــارات الفرسان ، فى هذا الميـــدان ، الا أن يأخـــذ بيـــدى الرحمن ، فيعلمنى البيـــان ، ويظهر من خفايا ألطـــافه ما تكون لســـانى عنه كالترجمان ، فما أنـــا إلا مسخر له بين أصبعين ، مقلب القلب بين الأمرين ، ان ألهمنى الحق فمن فضـــله ، وان تركنى ونفسى فبعدله ، فسبحان الملك الفتاح ، واهب الايضـــاح ، وهادى الصواب •

وبك اللهم أشرع فى هذا الجواب فاقول : ان ثبوت فضـــل الحج نافلة فذلك مجتمع عليه بلا جدال فيه: (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) فالآية فى عمومها تتأدى لكل متصف بالاستطاعة ، للخروج فى هذه الطـــاعة بلا تحديد فيهـــا لغاية ، ببلوغ الى نهـــاية ، الا ما بينته السنة بوجوبها فرضـــا فى العمر مرة واحـــدة ، وما سواها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو المندوب اليه نافلة لمن شاء أن يأخذ من دنياه زادا لأخراه ، وقربة الى مولاه ، وذلك دأب الصالحين من قبل ، وديدن العارفين من بعد .

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحج المبرور لا جزاء له إلا الجنة » وكفى بهذا لمن عقل ، فكيف يتطرق اليه كلا ، فلا سبيل ولا قول ولا دليل ، ولا وجود له فى أثر ، ولا صحيح نظر ، ولا ثابت خبر ، ولا قائل به فيما نعلم قطعا ، فانه من المجتمع عليه شرعا ، فلا مانع ولا مجادل ، ولا منازع ولا معاضل ، ولا مدافع ولا مناضل .

اللهم الا أن يكون من المقول ، من غير أهل العقول ، فما نحن من خطئهم فى شىء ألا فليبادر اليه من عظمت رغبته فى الفضائل ، وسمت همته الى الوسائل ببذل المجهود ، لطاعة المعبود ، فاذا انتهى تلك المقامات الكريمة والمشاهدات العظيمة ، فلا يبخل على نفسه بهجر الهجوع ، وسفح الدموع ، واطفاء الحرق ، من لاعج القلق ، دائم الانكسار ، ملجأ فى الاستغفار متعلقا بالأستار ، مستجيرا من النار ، لعسى ان يفوز فى أخراه بتكفير خطاياه ، وتكثير عطاياه ، فيربح فى بضاعته ، بأضعاف طاعته .

فيا من هو على كل شىء قدير ، وأما كشف قناع التفاضل ، عن وجه الفاضل ، فانه البحر اللجى من السر الخفى ، اظهاره ستر والإكثار فيه ، والاكثار فيه نزر ، فانى بالتعرض لتفضيله ، بما يأتى على جميع وجوه تأويله ، وهو حرى أن يقال فيه ، وعلى تفنن واصفيه ، وحسنه يغنى الزمان وفيه ما لم يوصف ، فانه مجال الفكر ، ومجرى النظر ، فى حقائق الشريعة ، ودقائق الحقيقة جميعا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلا فلا مطمع لذى بال ، فى استقصائه بمقال ، لا حصائه بحـــال ، ولكن فلا بأس فى التعرض لبيان الجمـل تنبيها على مأخـذ القياس ، للمبصرين من الناس ، دون من دان الهـــوى على عقـــله ، وأتزر برداء جهله ، فلا خطـــاب لمثله ، وان تكن من ذوى هذا الشأن ، فاسـمع لمـــا فيه لحن البيان •

أقول لابد لمن طلب التدقيق ، ورام التحقيق ، من المقايســـة بين المتفاضلين ، بحصر وجوه الطرفين ، أصالة وعرضا ، وظاهرا وباطنـــا ، فيقضى للفاضل بما فضل عن المفضـــول ، من مرتبة أو درجـــة أو دقيقة أو ثانيـــة أو ثالثة وهلم جـــرا ، ثم يجمـــع الحاصـــل بين الجهتين ، فيطرح له من مضاهيه ما يســـاويه ، من جميع جهـــاته ، على اختـــلاف حالاته ، فان تعذرت المســـاواة ، وظهرت المنـــاواة ، لاختـــلاف بينهما من جهة الظاهر والباطن ، أو من حيث اختلاف الصور عدل عن الكمية الى الكيفية ، فأيهما كان أدل على كمـــال الصفة ، قضى له بالأفضـــل ، ولا يخـــرج لمفاضله عن هذا البتة •

ولا يصح الدخول فى هذا الا لمـــن عرف معنى الفضـــل ، وهـــو فى اللغة الزيادة على الشىء ، وكذا هو عـــرفا فما كان له على الآخـــر مزية فهو الفاضل ، والفاضل أفضل من مفضوله ، والمفضـــول أنقص من فاضله ، والفاضل قد يكون مفضولا بما فوقه ، وفاضـــلا لمـــا تحته ، وهـــكذا حتى يبلغ نقطة النهـــاية من الطرفين ، أعلاهما هو الأفضـــل ، وأدناهما هو الأسفل ، وبينهما تتفاوت المراتب والدرجات ، ومن هاهنـــا نشرع ان شاء الله فى المقايسة بين الأعمال ، بالنظر فى عمل الحج والصلاة والصيام والصدقات ، وعتق الرقاب والصلوات ، ونحو ذلك من القربات البدنية والمالية فنقول :

أما بحكم الأصالة ، أى من دون التفات الى العوارض ، فيحكم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقت لمن حضر الحج أيام الحج ، أفضل من جميع العبادات البدنية ، من صلاة وصيام ، وقيام وصلة أرحام ، ولتكميل هذه الأفضال لعله الفضيله استحب الافطار ، فى عرفات لمن خشى اعتراء الضعف ، عن الدعاء مع ما فى الصيام من فضائل لا تنكر ، وفى مثل هذا لا اخاله يخفى على من أعطى الوقت حقه .

ولذلك لا نحتاج فيه الى اطالة بالعلك ، وكذلك فى القربات المالية ، المالية ، لا نعلم أفضل من الثج بعد الحج ، كما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أفضل الحج العج والثج » وهو صلوات الله عليه ، قد تقرب فى يوم النحر بما ناف عن السبعين من البدن ، وبذلك أمر إذ قيل : (فصل لربك وانحر) وذلك أفضل عندنا من سائر الصدقات والصلوات ، لأنه صدقة ، ويزيد عليها بشرف اليوم والمكان ، وفضيلة النسك بشرط ذلك فى هذا اليوم .

لأن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب ، ولكم فيها خبر بنص الكتاب ، وتنكير ذلك الخبر فيها اشعار بتعظيمه ، بما لا تبلغ العبارة الى كنهه الا بالاشارة والمفاضلة بينه وبين المعتق لها حكم دقيق ، وان كان المعتق ذا دين وفضل ، فالعتق أفضل ، ولو كان فيه سلامة الدين المعتق ، ففتح انتاء فى هذه الأولى فهو الأفضل ، كما فعل أبو بكر مع بلال رحمة الله عليهما ، وهذا الترجيح كله فى هذا من حيث الأصالة لقادر حاضر ، لا قاطع له من عذر يوجب الترك ، أو يفضله على العمل .

فأما غير الحاضر ، فله حكم الوقت والحال ، من تفضيل نفقة على رحم ، أو يتيم أو مسكين ، أو عتق رقبة ، أو جهاد فى سبيل الله ، وكلما كان أنفع للدين كالنفقه فى جهاد فهى الأفضل ، لكنها

فى دهرنا كالمعدم ، لتعذر المحل ، ولنرجع عن بسط القول فى هذا الى توضيح الأهم من هذا الشأن •

وأما النظر من حيث الطوارىء المعارضة ، بالعوائق العارضة ، فالكلام فى هذا مقصور على معرفة حال العامل ، ثم فى العمل المتفاضل ، فالمكلف إما مشغول بعمل دنياوى ، أو عمل آخروى ، أو صاحب بطالة ، ولا رابعة لهن إلا من أضاع النفس النفيسة ، فى المعاصى الخسيسة ، فلا كلام فيه ، ومن غلبت عليه احدى تلك الثلاث وسم بها •

فصاحب البطالة والعمل الدنياوى من المباح ، دون الواجب والمندوب منه ، فجميع ما قام به من عمل الآخرة ، فهو الأفضل فى حقه ، ان كان صلاة أو صياما أو حجا أو جهادا فى أمثالهن ، فهذا هو الغالب فى حكمه القوام من الناس ، إلا من خصه أمر يليق به ، فيصرف اليه حكمه ، وكل من هؤلاء بعد القيام بالواجبات ، وترك المحرمات ، يصح أن يوصف بالفضل مقام هو الطرف الأدنى ، من مركز الانحطاط ، اذ لا أسفل منه إلا مهواة المخالفة والعصيان •

وانما وسمناه بالفضل عن حد قولهم الطاعة خير من المعصية ، وأهل هذه الدرجة جميعا متنزهون عن اطلاق اسم البطالة ، والنقص والرذالة ، لأنهم من الداخلين فى زمر المؤمنين العاملين ، وانما جاز وصفهم بذلك لبيان مقامهم ، بالنسبة فى المقايسة بينهم وبين أهل الدرجات العلى ، وهاك القول فيهم :

فاعلم أنه من كان فى سائر أوقاته مشغولا بعمل الآخرة ، فهم أربعة أصناف : قائم بعدل ، وعالم ، ومتعلم ، ومتعبد ، فهى الأصول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والقواعد ، وغيرها عوارض ، كالمحترف والمتصدق ، وصلة الرحم وتشييع الجنازة ، واقراء الضيف ، وعتق الرقاب فى أخواتهن •

ومن سمت همته لمباشرة هذه الفضائل ، بمانعة الوسائل ، فقد ارتفع عن الدرجة الأولى ، واستقبلته درجات أخرى ، فالدرجة الأولى وهى الثانية ، فاعتبار ما قبلها ، وهذه هى التى يقال لأهلها خواص العوام ، وهم المبادرون الى فضائل الأعمال الظاهرة ، من الوسائل الشاهرة ، مطلقا من علم وعمل ، وصلاة وصيام ، وحج وقيام ، وصلة أرحام ونحوهن •

ومن فوق هؤلاء أهل الدرجة الثالثة ، يقال لهم : عوام الخواص ، ومعظم عنايتهم بقمع الشهوات ، والبكاء فى الخلوات ، والالجاج بالاستغفار ، ولباس شعار الذلة والانكسار ، والخوف والوجل ، والحياء والخجل ، وتقصير الأمل ، وصرف الهوى ، ومحاربة الشيطان والدنيا ، والفرار عن الأشرار ، ومجالسة الأبرار ، وادامة تذكار الجنة والنار ، وصقالة القلب بالعبر ، وادامة الفكر ، فى انقضاء الأجل ، وحلول الوجل ، وسرعة الزوال ، وفتح الأعمال ، وحمل الأثقال ، وكثرة القواطع ، وشدة الموانع ، وما وراء ذلك من دواهى المهالك من الموت ، وما بعده من القبر والنشر ، من الزلازل والحشر ، والوقوف والكتاب ، والاشهاد والحساب ، وما يشبه ذلك •

والدرجة الرابعة : هم خواص الخواص ، ومطمح هؤلاء الى تحقيق النظر فى اعطاء الربوبية ، حقها من العبودية ، باستفراغ المجهود ، فى التأدب للمعبود ، بآداب المملوك ، فى برزة الملوك ، فالوقت كله لهم جهاد ، وعبادة وأوراد ، فى تصفية القلب للحقوق ، عن شوب من الخطوط ، فهم فى محض استعانة ، والتجاء فى استكانة ، بخضوع وخشوع ، وبكاء ودموع ، من طرف خاشع ، بقلب راجع ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحزن دائم ، لصب هائم ، فاذا استحكم الشوق ، وتواصل الذوق ، فعاد الذوق شربا ، والشرب عبا ، واستغل على التصفية بالصفا ، وحظى من الوصل بالوفا ، فقد صار فى الدرجة العليا ، فهى الدرجة الخامسة للسابقين ، من الأنبياء والصديقين ، والأولياء المقربين .

وهؤلاء جميعا همهم التجريد ، ووردهم التفريد ، وشأنهم التوحيد ، وجهادهم مطلقا التخلى ، ومرادهم صحة التجلى ، ومحال كون هذا البقاء ، الا بعد الفناء عن الأغيار والسواء ، ومستحيل هذا الا لمن كان من أهل العرفان ، ببذل الكلية ، كلية الانسان فى الثبات ، على دوام المشاهدات ، والصبر بقهر الحركات ، والسكنات ، والخطرات والارادات ، تحت يدى سلطان الحضرات .

ولا يعثر على ذلك من قام وفيه من نفسه بقية من اعتياد أو اجتهاد أو التفات لمراد ، فان وضع كل ذلك تحت قدميه ، وتوسل بحقيقة الفقر بين يديه ، حتى لا يرى لفقر ولا غنى ، ونسى القيام والمنا ، وتناسى الحب والمنى ، فصرف وجه قلبه الى حضرة ربه ، فحينئذ تتجلى فيه الأنوار الروحانية ، من الحضرة الربانية ، ويكشف له بسليم الذوق عن عظيم المعارف الالهية ، فيغيب عن كثيف الناسوت ، ويسبح فى قبيح الملكوت ، ويشرف على منارة عالم الجبروت ، فتتفجر ينابيع الحكم من قلبه على لسانه ، ويشاهد سماع عرفانه ، لخطاب الجمادات ، وتسبيح الكائنات ، ويرى بعينه مثبوت الحكم فى جزائر السلفيات ، ويقرأ منشور العلم من صحائف العلويات .

فهو كذلك حتى يرى فى الأكوان مكونها ، وفى الحركات مسكنها ، فلا يقف هنالك ، وليرتفع عن ذلك ، حتى يغيب بالمالك ، عن جميع الممالك ، فتلك نهاية السالك ، فلا يطلب غيره ، ولا يتعد خيره ، فذلك طوره وطوره ، وناره ونوره ، فان رد الى الآثار ، بكسوة الأنوار ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يقطع بالمظاهر ، عن رؤية الظاهر ، فهو فى حال تذليه ، مثله فى ترقيه ، لأنه محب ومحبوب ، ومجذوب ومسلوب .

فليبق على ذلك عمره ، وليقطع فيه زمانه ودهـره ، لعسى أن يمد بعد صعوبة التلوين براحـة التمكين ، فيكون قطب زمانـه ، وفـريد أوانه .

فيا من جميع الخير بيديه ، ويا من الفضـل كله من رفده ، ويا من لا مطمع فى الخلاص الا به ، ببابك عبـد قطعته عيوبه ، وكبلته ذنوبه ، فتراخت أعماله ، وتلاشـت أحواله ، وساءت أفعاله ، فتبدل بالهجـر وصاله ، فكما ألهمتنى مولاى دعـاك ، وأبقيت لى فيك منك رجـاك ، لا تقطعنى عن وقفة ببابك ، ولا تطـردنى بزلة عن جنابك ، وعاملنـا بما أنت أهله ، لا بما نحـن له أهـل ، يا أرحـم الراحمين .

ولنرجع ان شاء الله الى ما كنـا بصـدده ، من كشف أسـباب المفاضلة ، فلا خفاء أن كل صنف من الأربعة الأصناف من قائم بعدل ، أو عالم أو متعلم ، أو متعبد لا يعدون فى مقامهم الأرفع ، عن هـذه الدرجات الأربع ، فمن اتهم الحـالات ، وللدرجات مقامات ، وبضرب بعضها فى بعض تكون ستة عشر ، وكل مقـام لأوله بداية ، ولآخـره نهـاية ، وبينهمـا رتب لا تـكاد تحصى ، وما منـا إلا لـه مقـام معـلوم .

فالقائم بعدل لا يقوم الا بعلم ، لكن يزيد على لفظه مجرد العالم بقيـام عدله ، فله الرتبة الأعلى ، من الشرف الاسنى وبعـده شرف العالم ، لأنهم ورثة الأنبيـاء ، والوارث تبع للموروث ، وبعـده شرف المتعلم ، لأنه متأهل لبلوغ رتبة العالم ، ومن ورائهم المتعبد ، فهى المرتبة الرابعة ، لكنها هى الأدنى ، وما قبلهـا أعلى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالعالم لا بد من انتقاله فى السلوك ، الى تلك الأربع الدرجات ، وكذلك القائم بالعدل ، والمتعلم والمتعبد ، ومن أراد تمييز الأفضل فيقال له : انه فى حقه بلوغ الدرجة الأعلى من مرتبته ، فليجاهد فى بلوغ شرف مقامه ، فبذلك يخرج عن حد ملامه ، وبدونه فلا مخرج له من هونه ، ولكن فنفس المقامات والمراتب ، من محض المواهب ، من عند واهب النعم ، ومفيض الكرم ، سبحانه فلا يعتنى امرؤ بنيل ما ليس فى قدرته ، فبوله بفطرته ، فى حكم المعتبر ، من صحيح النظر ، لا بغرض الأذهان ، لجواز الامكان .

فلا يغتر عابد بما يسمع من فضل العلماء ، وشرف الحكماء ، فيعرض عن العبادة ، ويترك أوراده واجتهاده ، ولكن يقف على حده ، وينظر فى مبلغ طاقته وجهده ، حتى لا يعرف لأى الأمرين صلاحه ، وفى أى المقامين فلاحه ، فهو الأفضل فى حقه ، بشرط صدقه ، والا فلينظر فى حال الفلاح ، اذا اعتقل بالسلاح ، وخرج عن الأوطان ، ليقعد فى كرسى السلطان ، لما يسمع من خسة الفلاحة ، وشرف الامارة بعد ذلك من عقله ، أم من سفاهة رأيه لجهله .

وأما من أمد بزائد فهم ، لقبول علم ، ووفور عقل ، الا اكتساب نقل مرتبته فى منزلة المتعلمين ، وشرفه بالمجاهدة فيها لبلوغ رتبة العالم ، مع حصول أسبابها لفتح أبوابها ، فالاعراض عنها من اضاعة الحال ، وهى أشد من اضاعة المال .

ومثاله : كالقاعد فى بساط الوزارة تحت كرسى الامارة ، اذا رضى بالدون والخساسية ، كالفلاحة والنكاسة ، ومن كان من أهل المروة ، عادم هذه القوة ، فشرف رتبته فى العبادة ، والتحلى بالزهادة ، وليس عليه السعى الى ما انسدل عليه حجابه ، وتعذرت عنه أسبابه ، لأنه مضاد للحكمة ، وخارج الى المشقة بغير فائدة ، فليقف بالامتثال ، على رعاية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوقت والحال ، ففى كلام العلماء مادل على أن مضادة الوقت من المقت وهو صحيح ، لأن تكليف ما ليس فى الوسع باطل ، والمعترض على الله جاهل ، وليسكن بالرضا تحت مقراض القضا ، ولو على جمر الغضا حتى يكون المولى هو الذى يتولى لرفعه بعد وضعه ، فالعبد ما فى وسعه ، سوى ترك العناد ، واعطاء القياد •

وأما قسمة الفيض الممنوع ، فمن واهب الفتوح (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، ثم لا يرضى فى مقامه بالدون ، ولا يقر فيه على الهون ، ولكن يسعى لأكمله ، ويطلب الأفضله ، فانه فيه بالمثل السائر ، مثل حال التاجر ، كلما أمعن فى طلب الربح النظر ، بأن دقق فى كيفية التصرف الفكر ، وبذل مجهوده من طاقة ومال ، أو مخاطرة بحال ، كقطع البرارى والقفار ، أو ركوب متن البحار ، فان ساعد التوفيق عاد بضروب الفوائد ، وصنوف الموائد ، فنمت أمواله ، وسمت أحواله ، وكان ذلك مبلغ الأفضل من رتبته بحكم الوقت والحال •

وهو فى حقه مبلغ الكمال ، لأنه فى القياس ، بترك ذلك المراس ، يعود بالافلاس ، أضحوكة للناس ، فلو أتاه رسول السلطان بالبشارة ، ليلبسه خلعة الوزارة ، فهناك يترقى فى الانتقال ، بحكم الوقت والحال ، فيكون فى مقامه الأعلى ، لأنه بالفضل أولى ، وكذلك المراتب الدينية ، والمقامات الأخروية ، ينتقل المرء من أسفل سافلين ، فليرقى الى أعلى عليين •

وربما انعكس أمره فارتكس لما انتكس ، فانقطعت أمداده ، وتفرقت أجناده ، وبقى فى مقامه ، على هون ملامه ، (ولكل درجات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معـا عملوا) ومن كان فى مقامه أطول باعا ، وأكثر اتساعا ، فهو أعلى ، ومن دونه فى المقـام أدنى •

ومثال ذلك فى رتبة العـلم : فمنهم العالم بالفن الواحد ، ومنهم باثنين أو ثلاثة فصـاعدا ، وكلهم قـد نال من اسم العـلم قسطه ، وبلغ من مرتبته بعض الخطة ، ولكن تفاوت الحظوظ ، كما تفاوت أهل الدنيا فى مراتب السلطنة بعظم الاقتدار ، وامتداد اليد فى بلد أو قرية أو مصر أو اقليم ، أو فى معمور البسيطة أجمع ، وكلما كان الملك أكثر وأوسع ، فالجاه والقدرة له أربى وأرفع ، وكذلك أهل هـذه المرتبة الدينية من عبادة أو علم أو زهادة ، كلما ازداد واحد فى مرتبته ، كان أربى لفضـله وشرفه ، والكمال المطلق لله ، ومن بعده لأنبيائه ورسله ، وهم فيه على درجات أرفعهـا صاحب المقام المحمود ، ولواء الحمـد المعقود ، صـفوة الوجود ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين •

ومن لم يقنـع من الناس ، بمحازفة فى القياس ، وسـلك نهـج الانصـاف ، عادلا عن الاعتساف ، وتحقق فى أغوار المفاضلة ، عن هذه الطريقة الفاضـلة ، عـلم أن فى اطلاق المقـال للاحتمال ، فلا يستبعد اذا قيل له ان بعض العبـاد ، أفضـل بصـدق الاجتهاد ، من بعض العلماء ، لاختلافهم بالمقـامات ، فى بلوغ الدرجـات ، وان لم يقنع الا بتمثيل من المشاهدات ، فلينظر الى قولنا : ان رتبة الامارة ، أعلى من رتبة الوزارة •

فهذا صحيح ، ولكن لا على الاطلاق ، فلا بد من شرط آخر يكون به الاطلاق صـدقا ، فالقياس حتما ، وهو كون المقايسة بين كل أمير ووزير ، لا بين أمير ووزير أمير غيره ، فوزير سلطان البسيطة ، أعظم من سلطان بلد أو قرية واحـدة •

وكذلك القول فى العالم والعابد ، فالعالم أعلى بالفضل لرتبته ، ان زاد على العابد فى درجته ، بمزية العلم النافع ، وان اختلفا رتبة ودرجة ، فلا بد من المقايسة لأجل المنافسة ، والحكم بالأفضل للأغلب نفعا لعباد الله ، والأشرف قربا عند الله ، والمتعبد لا يكون عابدا الا بعلم تصح له به العبادة ، كما أن العالم لا بد له من عبادة ، والا فعلمه هباء •

وكذلك كل منهما لا ينفك عن رتبة المتعلم ، اذ لا يتسع العمر لاستكمال العلم ، ومن كان فى ازدياد من اكتساب علم فهو يتعلم ، وما من عالم ولا متعلم ، ولا عابد الا وهو قائم بعدل فى عالمه الأصغر ، كقيام الامام فى العالم الأكبر ، بحكم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » •

وكذلك فما من سالك أو واصل الا وهو امام على من دونه ، ومأموم لمن فوقه ، فتلك الوجوه بعضها من بعض ، وانما تفاوتوا فى الحظوظ الى ما لا يحصى ، وكل من مهر فى واحدة ينسب اليها بالتعريف بها ، لأنها من حرف الفاخرة ، لمن شاء تجارة الآخرة ، ولا جرم فكذلك ينسب الى الحرف الدنياوية أهلها من بقالة لبقال ، أو صقالة لصقال ، وشتان ما بين الفريقين ، ولكن بحمد الله فلا بأس •

فما هى الا أمثال تضرب للناس ، وما يعلقها الا العالمون ، ومن تحقق فى هذا علم أنما قلناه نموذج مما أصلناه ، من علم المقامات ، حكم بعيدة الأطراف ، بديعة الأكناف ، وقطع الحكم بها فى التفاضل ، بين أعيان الرجال ، كأنه من ضروب المحال ، لتعلقها بالباطن والظاهر معا ، الا لمن اكتفى بحكم بين الظاهر من المظاهر ، والا فما نظن ، لا يدعيه عاقل •

اللهم الا أن يمـده الله تعالى بقوة ناظر الكشف من نـور عين الفراسة ، فليس من المحال استكشاف الحال ، لمن أنعم النظر ، فيما بطن وظهر ، ان كان قـد أيد بقوة النظر ، فالظاهر نتيجة الباطن ، فى علم الحقيقة ، والقول بالعكس شريعة ، وكله يتخرج على أصـل صحيح ، وفى المثل الشهير : كل اناء ينضـح بما فيه ، ومحال وجـود اطـلاع الانسان ، على حقيقة هذا الشأن ، الا بامداد ربانى ، عن سر روحانى ، يودعه علام الغيوب ، فى سويداء القلوب ، لأهل الصـفا من عباده ، أهل وداده ، فينتج لهم فى الحين ، ثمرة اليقين •

وعلى كل حال فهـذا النظر انما هو بحـكم الوقت والحال ، من دون استشراف الى المـال ، فانه سر غبى لا سبيل له الا بالوحى لمن أطلعه الله عليه ، وقـد سد بابه بلبنة التمـام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، والمقايسة بين الظاهر والباطن من الأعمال والأحوال ، ممـا يتعـذر ادراكه ، غالبا اذ لا مناسبة بينهما فى الوزن ، لأن الحال نفسه أمر روحانى ، والعمل خلق جثمانى ، ومثالهما فى تفاوت الفضل بينهما ، كما بين الأرض والسماء ، ومحال أن ينفك أحـدهما عن الآخر ، بلى قـد يستقل الأعلى ، دون الأدنى لارتباط السفلى بالعلوى ، ولا عكس فالسفليات مظاهر العلويات ، كارتباط الأشباح بالأرواح •

وما خرج عن وجود ارتباطه ، لأجـل انحطاطه ، فقـد مرق عن دائرة الفضـيلة ، الى مزبلة الرذيلة ، وبمثل هـذه القوى القلبيـة ، من الأسرار الباطنية ، يعرج العبد بحظه فى قـدر واحـدة من لحظة ، الى قاب القوسين ، أو أدنى من رأى العين ، فينتهى فى فضـوله ، الى سـدرة وصـوله ، للمقام الأعلى ، بقـرب المولى ، فكيف ينقاس فى التشبيه بهـذا أو ما يدانيه ، كلا فما عمر النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من غيره ، فيبلغ ما بلغ بكثرة الأعمال زائد الانتقال ، فقـد أفطر وصـام ، وتجهد ونام ، وما بلغ تلك الدرجات العظـام ، الا بمعنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنهـاه ، الى سـدرة منتهاه ، وبه فاق على نوح وابراهيم ، وموسى الكليم ، سلام الله عليهم •

فلمثل هـذا فليعمل العاملون ، وليجتهد العاقلون ، قطب هـذا المقام كله دائر على ثلاثة أركان : علم وعمل وحال ، فالعـلم كله على نوعين : كسبى ووهبى ، والعمل كله كسبى ، والحال نتيجة منها ، وفى قول أهل الحقيقة : أن العمل نتيجة الحال ، وعلى كلا القولين فيصـح أن يقال : ان الحال نتيجة العـلم ، فالحال من الأعمال كلها من الفروع ، والعـلم عليها شرف الأصـل المتبوع ، لذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم مدينة العـلم ، وبحر الأعمال ، وجوهرة الحال ، قـد بلغ رتبـة الكمال ، ومن قبـله أو بعـده فله تابع ، وعلى أثر مقـامه سـاجد وراكـع •

نعم لا يتعـذر القياس ، بين ظاهر وظاهر ، وباطن وباطن ، ولو تعددت الأعمال أو تخالفت الأحوال ، فالشىء يعرف بثلاثة : نفسـه وقرينته وضده ، ومن كان ذا غرة فى آخره ، اخراب سره ، فلا كلام فيه لشره ، لأنه بالاتفاق ، من أنواع النفاق ، وما الظاهر والباطن سواء ، فهى طريق السلامة ، ومن أضمر خير ما أظهر ، فتلك طريق الاستقامة ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان •

فهـذا ميزان الاعتبـار ، لمريد الاختيار ، يدع نفسـه فى معيار المفاضـلة ، فقد جئتك به نافلة ، فاستخرج الفروع من أصـوله ، وميز فى القياس بين فصـوله ، تجـد الطريق المثلى ، الى المقامات العلى ، وعسى أن ينكر هـذا من لم يمـده المولى ، بنعمة من العـلم الإلهى ، والسر اللدنى ، فلا بد من تعطف عليه ، بتلطف اليه ، فيقال له : مهلا ، لا تنكر الحق جهلا ، فان عليك حجابا ، ومن ورائك أبوابا ، وعلى المرصاد قطوع المرصاد ، قم فى الاجتهاد ، فى طلب الجهاد ، وتقلد سيف العزم

الصـــارم ، ولا تخش الجيوش الخضـــارم ، واصطحب رفيق النور ، لازاحة الستور ، من خدور البدور ، والا ففوض الأمور الى أهلهـــا ، وقل رأى السلامة فى جهلها ، حتى تبايغ ذلك المقـــام أو ما فوقه ، فاذا لبست منه ذوقه سمعت عنـــه بأذنيك ، وشاهدت منه بعينك ، فرأيت الحقائق مكشوفة ، والأسرار مألوفة ، والا فما يصـــنع بمثالك وليس الغرض فى جـــدالك •

فارجع عن حصر الاعتقاد ، يا موسى الانقياد ، فانك لن تستطيع معى صبرا ، ولا تقنع بشبهة التقليد ، فما هو بالسديد ، فكيف تصبر على ما لم تحط به خبـــرا ، وان تكن تطلب الزيادة ، ولا تقنع بهـــذه الافادة ، فأردت الرجوع الى العمل الظاهر ، لأن مأخـــذ القياس فيها شاهر ، فلا بأس على من زام كشف الالتباس ، فهاك مقباس القياس ، بين الحج وغيره من الأعمال ، ففى ذلك ينحسم المقـــال ، بحول مولاى ذى الجـــلال ، اظهارا للعناية بمطاب هـــذا السائل ، وجـــوابا لهـــذه المســـائل •

والله نستمده الصـــواب ، ونستعين به على تيسير الجواب •

فأقول : قـــد سبق أن يحج لمن حضره فقـــدره أفضـــل من سائر العبادات البدنية ، فبقى النظر فى قادر غير حاضر ، أيكون الخروج الى الحج أفضـــل له أم معانقة سائر العبادات فى بيته ، فقـــد مضى القول فيمن شغله من عمل الدنيا والبطالة ، فأما غيره من مشتغل بنفس عمل الآخرة من قائم بعـــدل أو عالم ، أو متعـــلم أو متعبـــد ، فله حـــكم المفاضـــلة بين المقـــام والخروج •

ولا تصـــح المفاضـــلة الا بالنظر الى الجهتين لتمييز الفاضل من المفضـــول كما سبق ، فانظر أولا الى نفس عمل الحج كله تجده لا يزيد على بضـــعة من الأيام ، ثم انظر فى الخروج اليه ، تجـــده ما بين ساعة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى يوم أو شهر أو سنة أو عشر أو يزيد عنهـا أو ينقص منهـا ، ولا بد من كونه فى بر أو بحر اذ لا ثالث لهمـا ، اذا أردنا استكشاف ما فيه من الفضـيلة ، نظرنا فيه من وجهين :

الوجه الأول : من حيث أصـالة فضله ، فوجدناه خروجا فى طاعة لا تدرك غالبا الا بخروج ، فهو بالمعنى نوع من جنس الهجرة الى الله (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقـد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما) وكفى بهـا لمن عقل •

الوجه الثانى : من حيث العوارض المفيدة لعظيم الأجر ، فما كان داخلا فى دائرة عمل الخروج من حركة وسكون ، وعسر وشدة ، وصبر وتعب ، ونصـب ومقاسات كربة ، وهو أن غربة لذلة نفس ، وفراق وطن ، وبعاد عن أهل وولد ، فى أمثالهن ، فكل ذلك محسوب ومكتوب فى منشور أعماله ، وسيلقاه فى ماله •

فمن الذى يطمع فى احصـاء ثوابه ، وأجره غير الواهب الكريم ، فهو الذى أحصاه عـددا ، وضاعفه مددا ، بمحض فضـله وكرمه •

ثم النظر فى المقايسة بين الخروج وبين العبادة والعلم ، فكله من عمل الآخرة ، لكن أنواع العبادة كلهـا من صـيام أو صلاة أو تعلم ، كل منهـا له الفضـل ، من حيث شرفه بنفسه ، فهو المقصود ولذاته وقـد يكون غيره ، مقصـودا له ، كتطهر البقاع والثياب ، والبـدن للصـلاة ، وكاعداد القـلم والمداد والألواح والدفاتر ، لأجل العـلم وفضـيلة المقصود لذاته ، على المقصـود لغيره ، كفضيلة العالم على المتعلم ، وفضـيلة المتعلم على ناسخ العلم ، فذلك فضيلة عمل الحج ، على الخروج للحج ، فالخروج أحظى رتبـة منـه كمـا بين السـالك والواصـل •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن اذا اختلف النوعان ، فقد يكون المقصود لغيره أشرف من مقصود لذاته ، كخروج فى الغزو والجهاد ، أفضل من نافلة الصلاة للقاعد المتخلف بلا عذر ، وليس ذلك لخروج فى الحج نافلة ، لانحطاطه عن رتبة الجهاد ، نعم فالمقايسة تصح بين فضيلة الصلاة ، وبين فضيلة الحج ، لأنهما أصلان •

وكذلك تصح بين المقصود للصلاة ، والمقصود للحج ، لأنهما فرعان ، وفى الحديث : « ان الصلاة عماد الدين » وقرة عين الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكأنها بهذا الاعتبار أشرف ، فكيف يفضلها على الخروج للحج ، فان البون بعيد ، ويصح أن يقال نفس عمل الحج لا يمنع من صلاة ، فالطواف صلاة ، والوقوف صلاة ، وكلها ذكر وفكر ، وتذلل وتبتل ، مع ما فيه من الزيادة شرفا وفضلا •

وبمثل هذا صح لنا الاطلاق السابق ، لأن الحج لمن حضر أفضل ، واما المقصود للحج وهو الخروج ، فالصلاة منه أفضل ، لأنه فرع وهى أصل وهو مقصود لغيره ، وهى مقصودة لذاتها ، وهو كله من عمل الظواهر ، وهى جامعة للحالين الظاهر والباطن ، ومتركبة من الثلاثة : العلم والحال والعمل جميعا ، فبهذا تفضل عليه وهى مراتب عظيمة ، وان تقرر هذا فتعلم العلم النافع ، أو تعليمه أفضل مطلقا من نفس الخروج ، والاشتغال بالعدل أعلاهن طرا فى الفضل والشرف ، هذا من حيث النظر بالأصالة فى شرف الخروج نفسه وغيره من صلاة أو علم أو تعلم أو عدل •

واذا ثبت أن الخروج مفضول وعمل الحج لحاضره أفضل فى أيامه لمن حضره ، فضيلة هذه الأيام ، لا تدرك الا بالحضور ، والحضور لا يكون لغير الحاضر الا بالخروج ، والخروج قد يكون من قريب ومن بعيد ، وعبر بحر أو بر ، فكيف يكون النظر فى المفاضلة بين

مفضـــول الخروج وأفضـــل الحج معـــا بالمقايسة الى سائر الأعمال ، فنعم يصـــح ذلك بالنظر الى بعـــد مسافة الخروج ، وقربها فمن ترك الأفضـــل شهرا أو شهرين ، لفضـــيلة يوم أو يومين ، فكأنه فى الأكثر ينظر الأوفر ، قـــد رضى بالعمل الأحقر ، فترك الخروج أفضـــل •

وكـــذا حـــكم من لا يستطيع الخروج الا بتحلل حال ، وتحول وصـــال ، لتغير قلب بقطع وارد لاهمال ورد ، واغفال ذكر ، وتعطيل شكر ، فترك الخروج أفضـــل فى حقه لمـــا يعتريه من احتياج ، لمباشرة علاج بتغير مزاج ، ثم عسى أن يقضى عليه قبل أن يعود باعتداله ، الى كمال حاله ، فضـــلا عن مزيد كماله ، أو يبقى فى منعـــه ، على حـــكم قطعه ، فلا يقـــدر بحيلة على دفعه ، لتراكم العوائق عليه ، أدهى شىء لديه ، لمـــا فيه من الانحطاط والبعـــد ، المؤذن بالصـــلاة ، والمفضى الى الرد ، ان لم يتداركه المولى برحمتـــه ، ومن ذا قوة على معالجات الفضـــائل الشاقة كخروج الى حج وعمرة وزيارة من غير انقطاع عن الأفضـــل ، ولا دفاع لأكمل فالخروج لا شك أفضـــل ، فكيف اذا كان فى الخروج أكثر نشاطا وأتم انبساطا فهو الأفضـــل •

وان استوى الأمران فهو الأفضل لمـــا فيه من مزية على القعود ، فان كان الضرر فى أحدهما دينا وجب المنع حيث الضرر ، كركوب البحر لمن يعتريه بسببه تغير المزاج ، بفساد العقل ، حتى يتأدى الى اضاعة الفرائض ، فمن عرف نفسه بذلك وجب منعه هنـــالك ، لأنه فى المثـــل كمن يبنى للفقراء قصرا ، ويهـــدم بالظـــلم مصرا ، ومن لا يعوقه الأعز الأفضـــل ، فالمنع أفضـــل •

وان اختلفت العوارض ، رجح الأرجح ، وكلما قارب الوجـــوب فأرجح ، كبر الوالدين لا مطلقا ، والحـــكم بهذا التأصيل يحتاج الى زائد فهم ، وكثير عـــلم ، وسنأتى فيه بمثـــل ان شـــاء الله فنقول :

العالم ان لم يستغن عنه فى المصر بغيره ، فالمقـام له أفضل ، واذا اشتغل بنشر علم ، وازاحة شبهة ، وارشاد ضعيف ، وهداية ضال ، فالمقام له أفضـل ، واو قام بذلك غيره ، وان قطعه الخروج عن ازدياد العـلم فالمقام أفضـل ، وان خاف عليه الفتنة فى الخروج فالمقـام أفضـل ، وان خاف الفتنة على الناس بخروجه فالمقام أفضـل •

ومع ظهور شواهد ذلك ففيهما شوب وحوب ، وان كان لا يقطعه الخروج عن علمه ، وهو مستغنى عنه فالخروج أفضـل ، وان كان أربى بعـلمه فهو الأفضـل ، وان استوى الأمران فالخروج أفضـل ، وان كان فى مقامه مفتونا فالمقام أفضـل ، وكذلك باقى العوارض بالقياس ، على باقى الناس ، فالمقام لكسب الحلال على العيال ، قـد يكون لحاجة اليه الخروج مع الاستغناء ، قـد يكون أفضـل ، وفى كل منهما ندب ولزوم وخصوص وعموم •

وتفصـيل جميع العوارض لا سبيل اليه كصحيح وسقيم ، وغنى وعـديم ، وجاهل وعليم ، ونافع للأيتـام ، ودافع عن الاسـلام ، ومطعـم للطعـام ، ومن أفشى السـلام ، وأطـاب الكلام ، وأدام الصـيام ، وصلى بالليل والناس نيام ، وعمر المساجد ، وكان فى دهره الراكع الساجد ، وأعطى لله ، ومنع لله ، وأحب لله ، وأبغض لله ، وما أشبه هـذا من أمثاله ، وكل قابل للتفاضـل بين المفضول والفاضل من نفسـه ، لتنوع جنسه أو فى غيره ، بموازنته بين الفضـيلتين من الجهتين ، لتميز الأفضـل منهمـا ، لمن تحـرى فى طريقه ، أكمـل تحقيقـه •

ثم لا يليق بالعـاقل ، هجران شىء من الفضـائل ، بل يؤمر أن يسعى فى أنواع الطاعة ، حـذا لاستطاعة ، ويوزع نفسـه فى الفضائل على أصـناف الوسائل ، على أكمل ما يراه لله بمـا يرضـاه ، حتى

يأتى بالتنويع على الجميع ، من صـــلاة وزكاة ، وصيام ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، وجهـــاد وغير ذلك .

فكلما عظمت التجارة ، واتسعت أسبابها ، وكثرت أصنافها ، عظم ربحهـا ، وتضـاعف خـيرها ، وازداد بذلك قـدر التاجر ، وعظمت العناية عند الخاصـة والعامة ، وكذلك فى هـذه التجارة الفاخرة لأهل الآخرة ، ولمثل هـذا قيل : ينبغى للمرء أن يحج نافلة بعد الفريضـة . لا غرو فمن كشف له عن عظم العناية الإلهية ، بتنويع الطاعات ، وترتيب الأوقات ، عـلم أن البقاء على صـورة واحـدة من علم أو حـال ، منحط عن رتبـة الكمال ، فلا بد من الانتقال ، وتلك سنة الله فى عباده ، فانتبه لهـذه الاشارة من العبارة ، فان تحتها أركاز الأسرار ، لمن فتح له باب الأنوار فأعطها من الفكر حقهـا .

وعلى مثل هـذا المقام دل كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان للجنة أبوابا يدخل الناس منها ، فمنهم من يدخل من باب الصلاة ، ومنهم من يدخل من باب الصـدقة ، وبعضـهم من باب الصـيام ، وبعضهم من باب الحج ، ويدخلها بعضهم من باب الجهـاد ، وأبو بكر يدخل الجنـة من جميع أبوابها » هـكذا ترجمة الحـديث ، وهو المقام الأفضل ، وعليه المعول ، فليبادر اليه من رام هـذا المقام ، فان النوافل خير للفرائض فيما قيل ، وهو صـحيح ولكن من غلب عليه طبع العوام ، فعسى أن ينكره ، ان قصر فهما عن أن يفسره ، وليس مقصودنا الآن ، ببيان هـذا الشان ، فانه خطاب لمن كان من أهل الفهم والانصـاف ، ورحم الله من كان من أهل الاعتراف .

وأما النظر فى النفقة على الحج ، فهى تابعة للخروج ان كان فاضلا أو مفضـولا أو أفضـل ، وكفى به عن المزيد ، ومن شاء فيها غير هذا من الترجيح ، فليرجع الى الأصـول ، وليطلب الأفضل فى حقه دون

المفضـول ، فان من أضـاع ماله استطاع من نيل عظيم الدرجـات ، وشريف المقامات ، طلبا لمأمول من نيل مفضـول ، فانه لجـدير أن يقال فى مثله : كمن بنى قصرا وهـدم مصرا .

وهـذا أن ينكر هذا من لا له حظ فى معرفة الكلام ، فالتلطف به أولى ، والتعطف عليه أحـلى ، ولا سيما ان صرح السائل بالبحث عن ذلك ، فيقال له فى الجـواب : ان هـذا الكلام الخارج ، من قبيل معنى التمثيل من تشبيه بمركب حسى ، لا من مفرد أو مركب عقلى ، أو حسى لمضـاهاة بينهما فى بعض الصـفات دون الذات ، والغرض منه تصور ذلك عند المخاطب برده ، الى مستقر عنده من ذهنى أو خارجى ، موقع ذلك لا ينكره من له ذوق سليم .

وبيانه أن فى ذلك ذكر المصر تشبيها بكثرة الاتساع والشـمول ، والاجتماع من شتيت الفضـل ، وصنوف الخير ، وهـدم المصر تشبيه لاضـاعة ما أمكن اليـه الوصول ، بعد الادراك والحصول ، وبنـاء القصر كالعمل الواحـد ، ولاخفـاء فى ذلك الا أن يعارض معترض فى ذلك ، فيقول : ان من هـدم مصرا فقد اجترح ظلما ، واقترف إثمـا ، وهـذا لا يصـح القول به ، الا حيث يجب المنع فقط ، فكيف أتيت به هاهنا ، وما هو من ذلك من شىء . فيقـال : ان لزم أن لا يصـح التشبيه الا بكمال المشابهة ، من كل حيثيـة وكيفية وكمية وغيرها .

فهذا الاعتراض فيه محتمل بلا وجوب ، وذاك غير صحيح أصلا ، لأن التشبيه ممكن بأدنى ملابسـة كتشبيه الرجل بالبحر ، لصفة لـه من كرم أو علم من غـير مشابهة للماء الثجاج ، ولا لطعمه الأجـاج ، وكتشبيه الشجاع بالأسد لاشراك المشبه والمشبه به فى حصيلة واحدة ، وهى الشجاعة وقوة البطش لا غير ذلك ، من نظر الى صورته الهائلة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا سائر أخلاقه الحائلة ، وكذلك تشبيه العمل الكثير بالمصر تركه بالهدم يصح فى هذا المقام ، من نظر الى الآثام •

ثم كيف يلزم التأثيم فى هذا ، واو قدر فى خزانة الذهن أن المصر كله لهـذا الكلام ، فماذا عليه من المآثم ، اذا كان لمعنى يراه فى أعماله ، من غير اضـاعة لماله ، وهـذا التقـدير أشبه بالمقـام ، من تقـدير هدمه بيوت الأرامل والأيتام ، لأن التشبيه واقع بنفس عمله ، وتارك العمل غير مضر لغيره بحـال ، ولكن لنفسه ما عمل كل عمل من نفـع لها أو ضرر عليهـا ، فلا تشبيه فى المقايسة بين عمله لنفسـه ، وبين تعديه على غـيره •

وبهذا يندفع ذلك الخيال الفاسد لمن اعتقده ، فليس الأمر كما هو اعتمده ، بل هو خارج على معنى الصواب •

فان قلت : اذا كان القياس الآن فى مستأنف الأعمـال ، لمزيـد التفاضل ، فكيف يصح القول بهدم ما لم يكن بعـد من عمله ، والهـدم لا يكون الا فى موجود قائم ؟

قلت : أما اذا اعتبر بقطع حال ، لتغـير وصال ، فالقيـاس على حاضر بأمر ظاهر ، لأنه يسعى لوجود هدم الموجـود ، وعنده فلا لبس ، وأما اذا اعتبر بمستأنف العمل فلابد من أن يعرض له وجـود ذهنى تصح به المقايسـة ، كما صح القـول فى الكافر أنه قد اشترى الدنيا بالآخرة ، وبالقطع فلا آخـرة له البتة ، فكيف يشترى •

فان قلت : فعلى هذا للتقدير فكل من انحط عن رتبـة هى الأكمل جاز أن يقال فى المثل : قد هـدم مصرا ، وذلك ظاهر لمـا فوقه من رتب عليـه ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قلت : لا ، فالقياس لا يصح بالنسبة الى ما بلغ اليه غيره ، بل يصح بالنظر الى مبلغ كماله الذى هو مستطيع له فى مقامه لا غير ، فالواحدة من أحواله وأعماله ، كالقصر والجم الغفير كالمصر ، نعم هذا التشبيه لائق بالمقام ، ولو كان العمل الواحد أفضل من ألف ، ليس من مرتبته فيصح عقلا أن يكون قصر واحد أشرف فى مصر ، كما لا صح فى المشاهدات أن الشمس كوكب واحد ، هى أشرف من مجموع سائر الكواكب أجمع ، وغير بعيد أن يكون فى قصر السلطان ، من أنواع الكنوز والمتاع ، ما يكون أشرف به فى مصر ، كما لا يمتنع أن يكون سلطان الزمان أشرف من أهل مصر جميعا ، ولو وزنوا به الرجح .

وكذلك فى أهل مراتب الدين ، والى مثله أشار خير المرسلين عليه الصلاة والسلام : « لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح ايمان أبى بكر » ترجمة الحديث ، وعسى أن نكفكف لسان القلم ، ونسكت بوادر الهمم ، فتجليك على قياس ذلك المنوال ، فى هذا المجال ، فاحكم مطلقا بحسب اختلاف الأحوال من الرجال ، فان الأخذ فى تفريع هذا التنويع التلخيص التبيين ، لتخلص الوجوه بالتلخيص من بعضها بعضا شيئا شيئا ، ربما يغنى الزمان ، ولا يحيط الانسان .

فقد تأتى على الواحد ساعة ، يعرض فيها طاعة ، يكون فى حق علمها أفضل ، ومرة يكون أفضله مفضولا ، وترى ذلك الفاضل فى حق آخر ، ومفضولا فى حق ثالث ، والرابع مخير ، وفى واحد موقوفا ، ولغيره مكروها ، ولسواه محجورا ، ولبعض مباحا ، ولآخرين لازما ، وربما انتقل الواحد فى العمل الواحد ، الى هذه الحالات أجمع ، فى ساعة أو دونها ، رعاية لحقوق الأوقات ، وعناية بعوارض الحالات ، والقيام على أفضل الأفضل مطلقا ، متعذر فى البشر الا على الانسان الكامل ، صفوة الأكوان جميعا ، صلوات الله عليه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكل فضـل دونه فهو مفضول بالنسبة الى فضله ، وقد يكون بالنسبة الى غير فضله أفضـل أو فاضـلا والحمد لله حق حمده .

لينظر المرء لنفسه ، قبل حلول رمسـه ، وليجتهد باخلاصـه ، روما لخلاصه ، قبل انتكاسـه ، على أم رأسـه ، فى أضيق مكانه ، قـرين شـيطانه ، فى دار من نار ، فياخـير مستجار ، ولا يهمـل ذلك الا مطموس البصيرة ، بعمى الحيرة ، يشتكع فى العمى ، ويرعى حول الحمى ، وينقاد بالجهـل ، الى مهواة الهوى ، فان الجحيم هى المأوى ، معـاذ الله منهـا .

وأما من أمد فى الطـريق ، بزاد التوفيق ، قاده نور العنـاية ، بزمام الهداية ، الى أسرار الرعاية ، فدخل من أبوابها ، وقام بأسبابها ، فزهد فى دنياه ، وهجر هواه ، فكانت الجنـة مأواه ، فياخير مسئول ، وبعد ذلك أقول : أين البصير السالك ، بهذه المسالك ، من علماء الآخرة ، الذين كوشفوا بأسرار النفوس ، وخطرات القلوب ، ودقائق الأعمـال ، فيرجى بهم انقـاذ العباد ، من مهالك فساد الشيطان ، والدنيا والنفس والهـوى .

كلا فأين البصير بالداء والدواء ، أين الرجال الأبدال ، أين الأولياء أين الأتقيـاء أين العلماء ، أين الحكماء ، أين العقلاء ، أين الفضلاء ، ما لنـا لا نرى منهم فى الورى الا صورة مأثورة ، فى كتب مسطورة ، وأخبار ممدوحة فى الكونين ، وسيرة محمودة فى الثقلين ، وأنوار مثبوتة فى العالمين ، ففى بطن الثرى اشراقها ، وعلى كل الورى اغراقها .

ليت شعرى أفى مثلهم مطمع ، فيرضى فى طلبه السياحة ، أم وقع الاياس فحقت عليهم النياحة ، أم طال بعدهم الزمان الغابر ، فنسى أولئك الأكابر ، وقل الذكر والذاكر ، وتاهت القلوب فى بيداء الغفلات ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشن عليها الغارة سلطان الشهوات ، فغاض العلم ، ونضب الحلم ، وباد الوفاء ، وزاد الجفا ، ووجب الاختفاء ، عن ذباب الطمع ، ذئاب الشنع ، شياطين الخدع ، قطاع الطريق ، على أهل التحقيق ، جعلنا الله وإياكم معاشر المسلمين ، ممن تمسك من الخلف بطريق السلف ، فسلك الطريقة الفضلى ، من الحقيقة المثلى ، بعد القيام بواجبات الشريعة على أكملها ، وترك المناهى والمحرمات على أعدلها ، وما التوفيق إلا بالله .

*** مسألة :**

ومنه : ما تقول فيمن كان يقرأ القرآن العظيم هو وأناس ، أيجوز له أن يخون أصحابه فى القراءة مثلا يقرءون صفحا صفحا وهو يقرأ صفحين وهم لا يشعرون به ، سواء كانوا مشغولين عن الانصات بحديث دنياوى أو أخروى ، أو كان أحدهم لا يعرف حد الصفح فيخونه ، أم لا يجوز البتة فى هذا وهذا ؟

الجواب :

يجوز له ذلك ، وليس فيه خيانة ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : ومن حضر اسماع قراءة شىء جائز من قارىء فى حضرة ناس أكثرهم يخلطون هزل الكلام بالسفاهة ، وهو كاره ذلك منهم ، ولا يقدر بمنعهم يأثم بذلك اذا نوى باجتماعه بهم ، لأجل فائدة فى دينه أو دنياه أم لا ؟

الجواب :

ينبغى له أن ينزه نفسه عن مواقف التهم ، ومجالس الاثم ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يسعه غير ذلك الا بعذر ان كانت المجالس مما يظهر فيهـا المنكر ، وان كان ذلك فعلى مقتضاها يكون الجواب .

*** مسـألة :**

ومنـه : قلت لـه : فما ترى فى تصـدير المكاتبات بالاستعاذة ، أهو المأمور به أم لا ؟

الجـواب :

قد ثبت من السنة المجتمع عليها ، من لدن النبى صلى اللـه عليه وسلم أنهم يصدرون بالبسملة ، وقد ورد الأمر بذلك من الجناب النبوى ، وقال اكتبـوها ، واذا كتبتموها فاقرءوها ، ولا يـزال على ذلك السلف والخلف ، وله من مفاتح القرآن أفضـل شاهد لمن تأمل ، ومحـال أن يكون ما خالف ذلك أفضل .

قلت له : فان كان يخشى فى ابتـداء كلامه الى مقاطع ختـامه من المبـاهات والمـراءات ، والتصنع للناس ، أفلا يحسن له فى الحـال أن يستعيذ بالله فيبدأ بها أم لا ؟

قال : يستعيذ بالله بلسانه وقلبه ، ويتضرع اليه ما استطاع ، فليس الغرض من هذا يثبت رسما ، ولكن المراد به تعلق الكل منـه بالله تعالى بلسانه وقلبه ، منبريا من حوله وطـوله ، وذلك مما لا يـدرك بالكتابة والرسم ، ثم يفتتح فى كتابه بمـا ثبت من البسـملة ، وفاقا للسـنة والاجمـاع وكفى .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقـول فيمن حلف باللـه ، على ترك أو فعـل شىء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فحنث ، أعليه التوبة الى الله بغير اختلاف منه مع الكفارة ، كان أمر الحنث من سبب عمد أو لا ، تفضل صرح لى هذه المعانى ، كما ينبغى للمعانى ، ولا تشتغل بغيرها عنها لكثرة مزيد الهمة الينا منك ألا فقل اى أهلا ؟

الجواب :

على حسب الموجود فى الأصول ، من مثل هذه الفصول ، أنه قد يختلف فى وجوب التوبة عليه ، من ذلك بعينه ، فقيل : انها تلزمه ، وعلى قول آخر فالتوبة فى الجملة كافية مع أداء ما عليه واجب من الحقوق لله أو لعباده ، إلا المستحيل ، فلا يجتزى إلا باظهار التوبة من ذلك بعينه ، ولا نعلم فى ذلك اختلافا .

وأما أداء الكفارة وحدها من دون توبة من ذاك بعينه ، أو الدينونة بها فى جملته ، فلا تجزيه ذلك قطعا ، والمستحل غيره فى هذا سواء ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وفى ميل الذهب ومكحلة الذهب ، أنهما من الأوانى أصلا ، فان كانا من الأوانى أيجوز استعمالهما ؟ أرأيت ان لم يكونا من الأوانى أيحجر استعمالهما على من أراد ، بين لنا ذلك مأجورا ؟

الجواب :

أما الميل ففى قول الشيخ أبى سعيد رحمه الله أنه لا يشبه الآنية ، وانما هو من الآلات فلا وجه لحجره ، ولا معنى لكراهيته ، وأما المكحلة فانها من الأوانى ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التأنى بأوان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذهب والفضة ، فقال الفقيه بتحريمها ، حيث يؤكل بها أو يشرب ، لحديث : « كأنما يجرجر فى بطنه نار جهنم » وفيما سواها أكثر قولهم بالتكريه ، ومطلق النهى يدل على أنه موضع اختلاف ، لقول من يمنع من المنهى عنه ما لم يقم دليل على عدم الحرمة ، وقول من نراه أدبا حتى يقوم على حجره دليل ، وأكثر قولهم فى هذا أنه لغير التحريم فيما أرجوه ، والله أعلم .

*** مسألة :**

وفى الذكر لله تعالى بالتهليل والتسبيح من أسمائه تعالى ، أو الاستغفار ، أو الصلاة على النبى المختار ، فى حال الجماع أو الخلاء سرا أو جهرا باللسان ، أو بالقلب يجوز أم لا ؟

الجواب :

لا يحرم ذلك ، ولا يمنع الا القرآن لجنب أو حائض أو نفسا ، أو فى حالة أخذت ، أما الخلا فهو وغيره لا يمنع منه بالقلب ، وانما يمنع هو تلاوة باللسان ، وقد يختلف فيه فى بعض المواضع لاختلافها ، حتى يكون بها لازما وندبا وجائزا ومكروها ومحجورا .

وأما غيره من الأسماء والأذكار ، فأكثر قولهم جوازها على حال ، فتباح للجنب والحائض وغيرهم فى أى حالة كان ، لكن تدخله الكراهية ، فلا ينبغى أن تذكر فى المواضع القذرة ، فى حالة احداث البول والغائط أو الجماع ، واذا كان الكلام كله ثمة يكره ، وقيل : انه مما تتأذى به الحفظة الكرام السفرة .

فما ظنك بذكر الله ، أليس الأولى به أن ينزه تعظيما ، ويبالغ فى تنزيهه تكريما وأرجو أن بعضا يجعل لأسماء الله تعالى من هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما للقرآن ، فيجيز فيهـا ما جاز فيـه ، ويمنع ما منع منـه ، ولـكن المشـهور غيره ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما نقول فيمن أحـدث حدثا على طريق من طرقات مثل دكانة أو مثلهـا ، أو كانوا يجلسون عليهـا أعنى حادثها أو من يأتـى عنـده ، ومن يمر بهـا ، أيجوز لمن صح معـه أنه محدثة أن يسـلم على من جلس عليهـا ، سواء الجالس عالم أو لا ، تفضـل أوضح لنـا وجـه الصواب ؟

الجـواب :

أما من أحدثهـا فى الطريق حيث تحجر لضررها ، وتمنع لباطلهـا ، وتعمد الجلوس عليهـا ، فتلك معصية فى معصية ، ونحب أن لا يسلم عليه ، ولا كرامة له ، فكذا القـول بالمنع من التسليم على كل مقيم على معصية الله فى حال كونه عليهـا .

وأما غيره ممن يحتمل له مخـرج فى الحق بوجـه فلا يمنـع من التسليم عليه ، والله أعلم فلينظر فى ذلك .

*** مسـألة :**

ومنـه : وفى قراءة القرآن والأثـر اذ تقاربت فى المسـاجد فعلت أصوات قراءة القرآن أو الأثر ، مَنْ منهمـا يؤمر بالسكوت أو بالخفض سـواء كان أحدهما يشوش على صاحبه أم لا ، أرأيت اذا أمر أحـد قراء القـرآن أن يخرجوا فى الصرح لأجـل التشوش ، أيكون فعـله جائزا أم خائزا ؟

الجـــواب :

كلهم سواء فى معنى الذكر ، فلا يبين لى منع أحدهم عن صاحبه ، لأنهم جميعا فى نافلة ووسيلة ، فليقرعوا جميعا ، ومن أراد منهم الخروج فليكن عن رأيه وطيب نفســه ، وآثــار على أحــد منهما بالخــروج لا عن اكراه وجبر بالزام ، فلا يبين لى الا أنــه فى الصــلاح ، والواسع ، ولا يضيق فعل هــذا فيما عندى ، والله أعلم .

*** مســألة :**

وما قولك شيخنا الخليلى ، فى تذييل الازار المنهى عنــه فى شرع الله ما حده ، قلت : قلت : وسواء كان فوق القميص أو تحته أو وحده ، والقميص والسراويل وما أشبههما ، كالازار فى النهى أم بينهما فرق ، أوضح لنــا ما تختاره فى ذلك ؟

الجـــواب :

قــد قيــل ان النهى فى الازار لا فى غــيره من قميص أو قبــاء أو نحــوهما ، والتشــديد فيه وارد بنص الحــديث النبوى وحــده ، الممنوع ما سفل عن الكعبين خاصــة فى الرجــال ، وبالعكس فى النساء ، لكن فيهن بشرط اذا تبرزن لغير ذوى المحــارم من الرجــال .

والسراويل فيما عندى كأنه نوع من جنس الازار فى اللفظ والمعنى ، فلا أجــد له مخرجا عن حكم الازار ، ويدل على اشتراكه فيهما من حيث التسمية ثبــوته كذلك فى اللغــة ، واشتراك الرجــال والنســاء فيــه من صريح الرواية ، وربما كان ذلك من اللبــاس ممدوحــا عنــدهم فى الجاهلية ، وبه يمدح شاعرهم من قال فيه .

شعرا :

سـنع الأسـامى مـبلى أرز

حمـر تمس الأرض بالهـدب

*** مسألة :**

وعنه : فى لبس الحرير والأصل المعتمد عليه فى هذا مع أصحابنا المشارقة ، الحديث المروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير إلا موضع أصبعين ، فأجمعوا أن النهى خاص بالرجال البلغ العقلاء ، وفسروا النهى عنه بالتحريم له فى الحكم ، خلافا للبحر ابن عباس رضوان الله عليه ، فقد كرهه للفخر والخيلاء ، وبهذا استدل من جواز لبسه فى الحرب من الفضلاء ، لما فى الحديث من جواز الخيلاء فيها تيها على أعداء الله الكفرة البغاة الجهلاء .

ثم ان تحديده انما هو بالأصبعين فى جميع الآثار المشرقية تبعا لنص الحديث كما رأيت ، ولم يحدوه فيما علمناه من قولهم بالأوقية ولا بغيرها من العلامات والأوزان الجلية ، واعتبروا فيه بعرض الأصبعين ، دون طولهما ، لأنه الغالب عرفا فى التحديد بهما فما دونهما هو المباح من اللباس منه عرضا فى التقدير ، لا طولا ، لأن فى الخيط الواحد ما يزيد طولا على هذا الحد ، لكنه لا يقع اسم اللباس عليه ، فلم يكن الاعتبار به مقبولا .

واتفقوا أن المعتبر فيه انما هو الخالص سداه ومصرا واحاما بشرط كونه مجتمع تام ، واختلفوا فى المختلط بغيره ، اذا زاد على عرض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأصبعين ، وكذا المتفرق ولو كان خالصا ، فقد حكوا فيه قولين ، وكل قد تعلق بمفهوم هذا الحديث بما يسوغ التمسك به ، فمن تمسك بظاهر مفهومه قال فالمختلط أنه ذاتان مختلفتان لا تكون احداهما أحق باطلاق اسمها من الأخرى عليه فى البيان •

وكذا المفترق وهو مختلط لوجود شتاته ، وظهور السداء فى ذاته ، لوجود قاطع من غير قبل انتهائه الى الحد المشروع من خيره ، وبه قد حرما من التحديد فلم يلجأ على هذا الرأى من الوعيد •

وبعضهم اعتبر فيه موضع الأصبعين ، ولو تقديرا سواء كان خالصا أم مشتركا ، أو مجتمعا أو مفترقا ، فاسأل به خبيرا •

وليس فى الحديث من دلالة على الفرق بينهما يمس الجسد أو لا يمسه من هذا اللباس ، فالحكم فيه واحد عند أصحابنا المشارقة بالتسوية بينهما ، ولا مانع منه فى نص نعلمه ، ولا قياس ، فطب به نفسا هذه الرخصة الكريمه ، فقد رفعناها لك من آثار أصحابنا القديمة •

لتعلم ما عند الأسلاف فيها من الاختلاف ، زيادة على ما عند م من وجود الرخصة فيما دون الأوقية ، ما لم يمس الجسد ، فاذا مسه فسدت صلاة لابسه فى قولكم الأسد ، فان لكل أن يعمل فى موضع الرأى بما يراه أعدل ، وهو الذى عليه فى موضع ما يكون الاختيار عليه بل أن ينصبه دينا ولا نخطئه منه لمن خالفه فى الرأى حينا ، فيهلك بالابتداع لنقض ما ثبت فى الرأى من الاجماع ، وكفى به اثما مبينا •

وعلى هذا تواطأ آثار السلف وتبعهم عليه الخلف ، فانهم رأوه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصـــلا مبينا ، وهـــذا هو عين ما حـــكاه شيخنا الكبير ، ونفس ما رواه الجهبذة النحرير ، أبو نبهان جاعد بن خميس رحمة الله عليه ، فى جوابه الذى أنشأ الى من ســـأله من اخواننا المغاربة ان كان هو الجـــواب المشار اليه فقـــد أصـــاب فيها مفصـــل الحق المبين ، ولم يتعـــد فيه حـــدود آثار السلف فى رأى ولا دين ، رضـــوان الله عليهم أجمعين •

*** مســـألة :**

ومنـــه : وفى النوم المنهى عنه بين العشاءين أهو نهى أدب أم نهى تكريه ، واذا لم يستطع الرجل على فعل شىء من الطاعات والوسائل فى ذلك الوقت لعجزه ، واذا قعـــد عند أبناء زمانه ، صـــار يتكلم أو يسمع من الكلام ما لا معنى له فى أمور الدنيا ، أيجوز له النوم فى ذلك الوقت اذا توخاه النوم ، وغلبه وخوفه أن يخوض فى كلام الدنيا ، ما الأحسن له فى ذلك اذا جبن عن عمـــل شىء من الوسائل ، ونيته فى النوم انتظار صـــلاة العتمـــة داخل المسجد ؟

الجـــواب :

النهى فيه نهى أدب ، وتلحقه الكراهية لفضـــيلة الوقت ، وينبغى لمن قـــدر أن يستفرغه فى الطاعة كذكر ، أو صـــلاة أو قراءة قرآن ، أو حـــديث أو أثر ، أو تعـــلم علم أو مذاكرة ، فمن لم يجد الا الخوض فى اللغـــو والباطل فالنوم خـــير له ، لأن الســـلامة لا تعادل ، والله أعـــلم •

*** مســـألة :**

ومنـــه : وقلت : ان الشيخ ناصر بن أبى نبهان يقول فيمن يحج نافلة : فانه كمن يبنى قصرا ويهـــدم مصرا ، لأنه لا يأتى الصـــلوات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بكمالاتها ، ولا يقوم لهـا بطهاراتها ، لركوب البحر وغصـته ، فما ترى فى ذلك ، تفضـل بين لنا ما تراه فيه ؟

الجـــواب :

انه قول مليح ، ومعنى صـحيح ، لا وجـه لانكاره ، ولا معنى لاستنكاره ، اذ لا لبس فيه ولا اشـكال ، ولا يخفى صـواب هـذا المقـال ، لأنه موضـع النقاب ، مرفوع الحجاب ، ينادى بالوصـول اليه من كل باب ، ويعطيك من ظاهر تعليله الصـواب •

ألا ترى من خص فيه من الورى ، ما هم الا من كان من البشر معـلوم الحال فى السفر ، بتضـييع الفرائض والسنن ، والاتيان بهـا على غير ما ينبغى من كمالاتها ، فى سـائر حالاتها ، وينقسم ذلك على نوعين ، لأنه من وجهين : أحـدهما : أنه لا يقوم باللوازم ، فذلك هو الحرام الجازم ، وتعرضـه للحج على هـذا نوع من المآثم ، فلا تك فى مرية ، فانه ليس بفرية ، ومثال ذلك كمن هـدم أمصار الاسلام ، وتصـدق بأموال أهلها على الأيتام ، فلا تصـدق ولا صـلى ، ولكن كذب وتولى ، ثم ذهب الى أهـله يتمطى ، قـد فاز من علمه بالعناء ، وكتب عليه فى اللوح الفناء ، أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى •

وطائفة أخرى هى بالعـذر أحرى ، قد قامت باللوازم ، وخرجت عن الحـرام اللازم ، ولكن تعوقت عن الوسـائل ، واعتاضت عليهـا الفضائل ، والناس متباينون فى درجاتها ، لاختلاف طبقاتها ، ولا بد على الصحيح ، من ميزان الترجيح ، ولا ينكشف الحق فيه الا ببثبثة أحوال الرجال ، وهـذا لا يتسع فيه المجـال •

وليس المقصـود هنا الا ببيان كلام الشيخ ، فأقول : أما من أمكنه القيام فى الساعة ، بألف طاعة فأضـاع الفريضـة ، قصدا لغيرها من

وسيلة واحـدة ، فلابد من اعتبار أوجهها ، وكشف النقاب عنه لا يصح الا بمعرفة التفاضـل بين العلمين ، وذلك لا يعثر على كنوزه الا عالم بصـير ، ولا بد من استقصاء ذلك لمن أراد أن يقف فى برزة الحـكم بفضـل الخطاب ، على وفاق السنة والكتاب •

ولو شرعنا فى شرح ذلك ، لخرجنا عن حـد الجواب ، واحتاج الى تصـنيف كتاب أى كتاب ، وليس ذلك من غرضـنا الآن ، لكن على اجماله أقول : ان تساوت الفضـائل ، فمن ضـيع ألفا لبناء واحدة فلا شك أنه بنى من تلك الواحـدة قصرا ، وهدم من ذلك الألف مصرا ، فيه ألف قصر ، وان زاد فبحسابه ، وان نقص نقص من شـأنه •

فهـذا ظاهر كلام الشـيخ ، والأعمال نفسها تتفاضـل ، لكنهـا باختلاف أحوال الناس قـد تختلف أيضـا ، فيكون الأفضـل فى حق هـذا فاضـلا فى حق غيره ، ومفضـولا فى حق آخرين ، ولا تعجب فحسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولا بد للسالك البصير ، من التفطن لذلك ، والتنبه له ، فانه كنوز الأبرار ، وخزائن الأخيار ، وربح التجار من غنـائم الأسرار ، ومن فاته ربح التجـارة ، فلا بد له من غصـة الخسـارة •

ومن أنعم النظر ، ودقق فيها الفكر ، وحقق فيها العبر ، فعسى أن ينكشف له بالنـور الخفى ، ما استعد لقبوله من اللطف الخفى ، فلا يتبع عن ذلك هواه ، ولا يعترض بعـدها على مولاه ، ولم أستطع العبور فى بحر هـذا المجال ، على ما فوق هـذا بمقال ، فانه داء ماء بحر الأنوار ، ونقطة دائرة الأسرار ، فى الأفعال العلمية ، للمعاملات الإلهية ، والخوض فى تدقيقهـا ، لزوم تحقيقهـا ، لا يتوغل فى بحـور أسراره الا كبار العلماء الحـكماء العظماء الأعلام ، فى سـلوك طريق الآخـرة والسـلام •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسـألة :**

ومنـه : وقلت : ما يقول المقول ، كما يبين لك من المنقول ، عن ذوى العقول ، فى النهى عن التجرد ، عند من لا يعقـل ولا يبصر من البشر ، وأن لو عقل وأبصر لرأى ذلك الفعل قبيحـا ، ممن فعل ، أهو نهى تأديب أم تحريم ، وعم العلة المانعـة فى ذلك عن ذلك ، تفضـل أوضـح لنا ذلك ، واسلك بنـا أحسن المسالك ، سلمك الله وإيانا من المهـالك ؟

الجـواب :

نهى تأديب ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما ترى فى اختيار أهل الفضـل اللباس الأبيض ، أهو مما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبت فى زمانه أم أحدثه التابعون له استحبابا لخلوه عن الوشى ، والزخارف المفضية الى الاعجاب أم غير ذلك ؟

الجـواب :

لبس البياض ليس بلازم ، وقـد كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبسه هو وغيره ، وانما استحسنه أهل الدين ، اذ قـد صار لهم زيـا يعرفون به ، ولعل مستندهم فى ذلك ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير ثيابكم البياض البسـوها وكفنوا بهـا موتاكم » وكفى به مزية وموافقة الأمر النبوى مع تصريحه بأنه الخـير ، والله أعـلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسألة :**

ومنه : وفى أهل بلد أو دار أو نفر من الأنفار ، امتثلوا قول النبى المختار ، يقيلون بالنهار ، لمعانقة الأبكار ، ويستعينون بها على القيام بالأسحار ، وهل يمكن لأحد من الأنام أن يأتيهم الى ذلك المقام ، فى الوقت المعلوم ، الذى شهر أنه للخلوة ، كما قال لسيد البشر لحاجة من حوائج الدنيا ، أو الآخرة التى لا تفوت بتأخيرها عن ذلك الوقت أم لا ؟

قلت : وان كانوا مجهولى الحال ، لا يدرى أنهم يقبلون فى حين ، ويتركوها فى آخر على اختلاف أوقاتهم ، فوافق هذا الآتى اليهم أنهم اتخذوا القائلة ، فشغلهم عن النوم أو عن سبب من الأسباب ، الذى هو جائز لهم فى الأصل ، أيكون آثما عرفنى وأنت مأجور ؟

لأنى وجدت عن بعض أشياخنا المغاربة أنه قال : من نبه نائما بالقائلة آثما أو غيرها اذا صح عنده أن هذا النائم عن تعب ، أيوجد ذلك فى الأثر ، أم يتوجه لك ذلك فى صحيح النظر ، وقد أتيت بالمعنى لا اللفظ بعينه ؟

الجواب :

الله أعلم ، والذى أحسبه فى غير الضرورة أن يستعمل المرء الأدب فلا يأتى الناس فى وقت يكرهونه ، ولا سيما فى حق من كان بالخلوة ، لاحدى العبادتين يعرفونه ، وأما أن أقول بتآثيم الآتى فى ذلك الوقت فلا ، لما ثبت عن الله تعالى من ثبوت الاستئذان الخاص فى هذه الأوقات الثلاثة ، وهى : (حين تضعون ثيابكم من الظهيرة) ولو حرم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المداخلة فى هذه الأوقات لمنعهم من نفس الدخول ، ولم يوجب الاستئذان .

وبايجابه دل على عدم المنع ، لكن لما صرح بأن الملوك والطفل يستأذن فى هذه الأوقات ، وهم من خاصة البيوت ، ومن لا يستغنى عنهم لحوائجها ، فالأباعد أحق بالتجنب فى هذه الأوقات ، لعدم الضرورة ، لكن بعد الاستئذان ان رخص صاحب البيت لم يحرم الدخول ، وان كره أدبا تبعا للمصالح .

وتأثيم من نبه نائما فى القائلة وغيرها ان كان ممن لا يضر به فلا نعلمه ، وجاء فى الأثر : ولا نوقظ نائما أقر بالعدل ، وتأوله الفقهاء على المجاز أى لا تخيف آمنا أقر بالعدل ، وتفصيل ذلك يطول ، والله أعلم .

❊ مسألة :

ومنه : وهل قيل شيخنا ان الرجل لا يعمل لنفسه طعاما من الخبز اليابس ، أفيه كراهية أم لا ؟ وما الفرق بين اليابس وباقى الأطعمة يعملها لنفسه ، أم هذا لا أصل له ، تفضل أوضحه لنا مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

هذا جائز ولا كراهية فيه ، ولا فرق بينه وبين الأطعمة ، والله أعلم .

❊ مسألة :

ومنه : وما الأفضل شيخنا عندك من الأعمال بعد الفرائض ، قراءة القرآن ، أم الوسائل من الصلوات ، أم الذكر بين لنا ذلك ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

كله فضـــل فيعمل بما فتح الله له منـــه .

*** مســـألة :**

ومنـــه : والأم من الرضاعة ، هل هي من الأرحـــام ، لا يجـــوز هجرانها ، واذا سبّت هـــذه المرأة من أرضـــعته وشـــتمته أو آذته بلسانها ، أيجوز له أن لا يكلمها اذا كلمته هي ، وتكون نيتـــه أنها اذا مرضت سيعودها ، أو سألته حاجة سيقضيها ؟ وان كفت سيكف عنها ، وكذلك الأرحام اذا كان منهم له ذلك تكون نيتـــه وأحواله على ما ذكرت له في امرأته من الرضـــاعة ، أيكفي منه ذلك ؟

الجـــواب :

لا ينبغي له هجرانها ، ولهـــا حق عليـــه دون حق الرحم ، والله أعـــلم .

سؤال جمعـــة بن خصـــيف :

يا من سرت بـــه براقات العـــلى
موضـــعة الى السموات العـــلى
فأغبطت عليـــاه تلك رجـــــلا
لمـــا على هامتـــه العـــليا عـــلى

ومن جـــلا مصـــباح عـــلم مشعلا
وقـــده من زيت عقـــل كمـــلا
فأشرقت مشـــكاة عصره انجـــلا
أعني سـعيد شـــيخنا المبجـــــلا

مـاذا ترى فيمن سـعى مهرولا

الى المعـاصى وأسـاء العمـلا

ثمـة تـاب واغتـدا معتـدلا

فهـل يثـابن عـلى مـا عمـلا

من قبلها من صـالح قـد حمـلا

مـزاج لى منـك الرحيق السلسـلا

* بشـيع التنسيم قـد تسلسلا *

الجـواب :

قـل للذى عن هـذه قـد سـألا

ان كان عصـيان الذى قد جهـلا

من الكبـار المحبطـات العمـلا

فـان فيمـا قبلهـا قـد عمـلا

قولين اذ تـاب وفى الظـاهر لا

يبطـل حجـه ولا مـا بـدلا

إلا اذا ارتد وشـيكا دخـلا

عمـدا عليـه حارب الله عـلى

فأمـر باسـتيناف فعـل فصـلا

حج وغـيره ولو قـد فعـلا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قيـل فلا اعتـداد بالذى خـلا
والحمـد لله على مـا سـهلا

ومما هو مضـاف الى الكتاب عن البطاشى : حـذف سؤالها .

الجـواب :

ان المسألة التى ذكرتها قد تكفل بايضاحها شيبة الاسلام ، وتكلمنا نحن عليها بما شـاء الله من الكلام ، وفيه ما يكفى عن الاعادة ، غير أنمـا ذكرته من وقوع الواقع فى البحر ، لا يكفى لاغلاق باب التوبة عنه حتى يدركه الغرق ، وكذلك احتمال السـبع لمن يحضره المـوت ، وكذلك احاطة العدوّ به حتى يقع به منهم مع ما لا يمكن بقاؤه معه ، حتى دل ذلك أن الغرغرة وما يشبهها فى المعنى هو الموجب لاغلاق التوبة ، وأما ما قبل ذلك من المقدمات المفضـية الى ذلك ، فباب التوبة فيه من فضـل الله مفتوح ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

وعنـه : وذكرت عن شيخنا أبى نبهان الخروصى العمانى : من اجترأ المحرم بالتوبة فى الجمـلة من معاصـيه اجترأ المستحل بذلك ، حتى يتوب من كل شىء بعينه ، فهـذا ظاهر ، ومعنى التوبة فى الجملة أن يتوب الى الله من جملة معاصـيه ، أو من جمـلة ذنوبه ، أو من جميع حوبه ، أو ما أشبه ذلك ، وكان فى المعنى كذلك ، ومعنى التوبة من كل شىء بعينه ، أن يتوب المستحل من كل معصـية عصى بهـا مولاه ذا الجـلال ، على وجه الدينونة بهـا والاستحلال ، يفصـلها واحـدة واحـدة ، حتى يأتى على جميعها وأما اذا تاب المنتهك اذا دان بتحريمه فى الجملة ، فتوبته تأتى على جميع معاصـيه ، ما ذكره نها وما نسيه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الا أنه يلزمه الاستمرار على الندم ، كلمـا خطر ببـاله ذكـر ما مضى من ذنوبه ، وتقـدم من ذلك من شروط صـحة توبته ، وبـه فسر قوله تعـالى : (وتوبوا الى الله جميعـا أيها المؤمنون لعـلكم تفلحـون) والله أعـلم •

*** مسـألة :**

وعنـه : وفيمن سب مسلما عند جملة من الناس بالزنى والبـاب محق فى السريرة ، ماذا عليه فى أحـكام الظاهر ؟ يظهر توبته عند هؤلاء الجماعة أم تجزيه السريرة ؟

الجـواب :

ان القـذف للمسلمين بالزنى عند من لم يعـلم كعلمه حـرام ، ولو كان فى الباطن من الصادقين ، فانه عنـد الله بذلك من الكاذبين ، لقوله تعـالى : (لولا جاءوا عليه بأربعة شـهداء ، فاذا لم يأتـوا بالشـهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) أى ولو أنهم عند أنفسهم هم الصـادقون •

والتوبة لا بد منها ، فاما أن تكون لازمة عليه عند من وقع القذف لديه ، فلا أعلمه أن التوبة لله ، وتوبة الجهر من ذلك المراد منهـا أن تكون باللسـان ، لا باعتقاد الجنان وحـده ، والله أعـلم •

فصـل

وعنـه : وأما ما ذكرت من كون النظر الى المصـلوب ، فانه من كبائر الذنوب ، فلا أرى أنى أحفظ فيه شيئا ، وعندى أنه من العمـوم

الذى يراد به الخصـوص ، كأن يكون صـلبه من الظـلم ، فينظر اليه نظر رضـا وسرور وشماتة به ، أو يكون صـلبه من العـدل فينظر اليه نظر غضب وسخط للحق وأهله ، والله أعـلم .

فصـــل

وعنـه : وأما ما ذكرت من أمـر صـاحب الكبيرة ، اذا لم يتب ونسيها وحفظها بعد احرامه فى صـلاته ، فان كانت مما دون الشرك ، وكانت من ذنوب الجهر ، وكانت الصلاة فرضـا فيخرج فيـه قولان :

أحـدهما : أنه لا يجوز له قطعها ، وتكفيه عزيمـة القـلب على التوبة ، حتى يفرغ من صـلاته ، لأن ذنوب الجهر من شرطها التوبة باللسـان ، وعزيمة الجنان ، ما لم يمنع من الكلام مانع عدم القـدرة عليه ، ومن جهة الشرع ، والصـلاة مانع شرعى ، عن كلام الآدميين بالقطع ، فلا جواز له فى أصـل ولا فرع ، الا ما خص فيها بالجـواز كما لا يخفى .

فتكفى من ذلك عزيمة القلب على التوبة ، لأنها الأصـل فيهـا ، وهى روح التوبة ، فلا فائدة فى حركة اللسـان بهـا ، اذا تجردت من عزيمة الجنـان .

والثـانى : أنه يقطعها ويتوب من كبيرته ، لأنها محبطة لجميـع صـالحاته ، فضـلا عن صلاته وحـدها ، فكيف يجوز أن يبقى على صـلاته ، مع وجـود ما يبطلها فيقطعها ولا بأس ، حتى يبنيهـا على أسـاس .

والأول : يوجـد عن السيد مهنـا بن خلفان غير أنه احتج عليـه بقوله تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) وهو احتجاج فيه بحث ، كما هو معـلوم من تفسير الآية الكريمة حيث قيل : ان المطـلوب بالنهى عن

ابطالها انما هو بارتكاب الذنوب ، فهو من دليل احباط الحسنات . بارتكاب السيئات ، فتكون من الحجة على تقديم التوبة على الصلاة ، وقطعها لأجلها .

والثاني : رواه لى بعض الاخوان أنه أخذه من مشافهة شيخنا الربانى أبى نبهان ، وهو موضع رأى لا يجوز به أن يدان ، وينظر لنفسه من كان له على ترجيح أحدهما يدان ، والله أعلم فانظر فى جميع ذلك ، ثم لا تأخذ منه الا الحق .

*** مسألة :**

وعنه : وفى رجال صحبوا امرأة أجنبية ، فارتمت فى بئر أو بحر أو رأوها لتقع من مركوبها أو ما أشبه ذلك مما أشبه ذلك مما يضر بها ، وخافوا عليها الهلاك ، ألهم أن ينقذوها بما أمكن ، أو يثبتوها حتى تستقر سالمة أم التعفف أولى وأحسن ؟

الجواب :

ان الذى يخشى منه الهلاك على المرأة الأجنبية اذا وقعت فيه ، أو شارفت الوقوع فيه ، فيلزم من يقدر انقاذها من ذلك أن ينقذها ، ولو بمس ما هو محرم مسه منها فى حال الاختيار ، والضرورات قد تبيح بعض المحجورات ، وهذا من ذلك ، وربما يخشى على تارك ذلك منها أن يكون ضامنا اذا قدر على انقاذها ، فأسلمها الى الهلاك ، والله أعلم .

*** مسألة :**

وعنه : وما تقول فى المصلى اذا سلم عليه وهو فى صلاته ، أيلزمه رد السلام بعد فراغه من الصلاة أم لا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

ان المسلم ينهى عن التسليم على المصـلى ، فاذا سلم فلا أحفظ فى وجـوب الرد على المصـلى من بعد الصـلاة شيئا ، ولعله يتوجـه معنى التخيير له بين الرد وعـدمه ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

وعنـه : ان الانسـان لا يخلو من السهو أو الذنب ، فينبغى له أن يتـوب ويستغفر الله من فعـله ذلك ، من حين ما قارف المعصية .

*** مسـألة :**

وعنـه : وفيمن خطر فى قلبه ذكر شىء من الأفعال الضمان أو الذنوب ، ولم يعلم حقيقته كيف يلزمه فيه ، ليتخلص منه فى ذلك الحال ، ثم نوى الخلاص وسؤال العارفين عما يلزمه من ذلك الذى خطـر فى قلبـه ، فهل تجزيه الدينونة بالخلاص ، ويجوز له فيما بينه وبين الله تعـالى تأخيره من حال الى حال ، من غـير عـذر عن طلب المعتبر ، أم لا يجوز له التأخير ، ولا يسعه الا أن يقوم فى ذلك الحال متى ذكر يطلب المعبر حيث كان ؟

أرأيت ان تأخر بقلة علمه وظنه ، أنه يجـوز له التأخير ، فمـات على نية الخلاص ، وسؤال العارفين ، أيكون سالما عند الله تعالى بنيته أم غير سالم ؟

وكذلك اذا نسى الضمان والذنب ، أيكون معذورا بنسيانه ، وفى حالة توبته ورجوعه الى مولاه ، ذاكر للفضـل إلا أنه كثرت عليه التبعات والذنوب ، وصار كلما وجـد فرضه يسـأل عن تبعاته وذنوبه ، ومـرة يسـأل عن أمر دينه ، وفى بعض الأحيان مشتغل بخلاصه وأمر دنيا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرأيت من كانت هذه نيته وأفعاله ، اذا سها عن شيء كان ذاكرا له عند توبته ، أيكون معفوا عنه بنسيانه أم لا ؟

الجـــواب :

انما تذكره فعرفه من أفعاله الماضيات على ثلاثة وجوه :

أحدهما : أن يكون حراما فى الاجماع .

وثانيها : أن يكون حـــلالا فى الاجمـــاع .

وثالثها : ما يختلف فيه الرأى ولا هلاك عليه الا فى الوجه الأول ، وهو على ضربين :

أحدهما : أن يلزمه فيه التوبة مع الخـــلاص كالمظالم .

والثانى : أن تلزمه فيه التوبة فقط ، فأما الذى يلزمه فيـــه التوبة مع الخلاص اذا كان منه على انتهاك لما دان بتحـــريمه ، وكان على مقدرة من الخلاص منه ، ووجـــد المعبر له علم ذلك ، فلا يســـعه جهله ، وعليـــه طلـــب علمـــه ذلك حتى يتـــوب منـــه ، ويخلص نفســـه من ضمـــانه .

وأما الضرب الثانى وهو الذى لا يلزمه فيه إلا التوبة ، وكان قد انتهكه مع الدينونة بتحريمه ، فيسعه جهل علمه ، وترك السؤال عنـــه ، اذا تاب لله منه بعينه ان هدى اليـــه أو فى جملته من كل معصية للـــه ، كأكل الميتة والـــدم ، ولحـــم الخنزير ، وشرب الخمـــر ، والزنى على غير الاكراه ، وما قد انتهكه .

ومن كلام الشيخ سلطان بن محمد :

أمـــر الإلـــه الاســـتقامة وهـــى
ما بـــين الركـــون هديـــت والطغيـــان

من فاستقم لا تركنوا للظلم لا
تطغو محيطا ما بها الطرفان

الافراط والتفريط مكتنفا بها
للنهى زجرا عنهما لا آن

ما أعظم التكليف باستخلاصها
من بين تهلكتين للانسان

ولأنها صعبت ودقت واختفت
محجوبة عن أكثر الأذهان

قد شبيت هود النبى محمدا
فيما رووا عنه أولوا العرفان

يارب فاجعلنى اليها أهتدى
قولا وفعلا واعتقاد جنانى

وتولينى فى الصالحين ونجنى
من كل ما يفضى الى الخسران

انى لقد أسرفت اسرافا على
نفسى فلا تقنطن من الغفران

أنى اليك أتوب فاقبل توبتى
واغفر ذنوبى وامحون عصيانى

وأحلنى دار المقامة فى غد
دار الكرامة منزل الرضوان

فضـــلا لعبـــدك من لدنـــك ورحمـــة
فلأنـــت ذو الإكـــرام والإحســـان

ولـــه أيضـــا :

الهـــى مـــودع السر المصـــون
عن التحقيـــق فى أقصى الذهـــون

بهـــذا الهيـــكل المحســـوس منى
قـــد اصطحبا الى رب المنـــون

فيفترقـــا لمـــوت فيـــه حـــكم
الحيـــاة بنص قـــرآن مبـــين

على ما جـــاء فى الشـــهدا وكـــون
الجميـــع كهـــم نفيس مســـتبين

ولـــكن قـــد بقى عنهـــا شـــعورا
بوجـــه حيـــاة مقطـــوع الوتـــين

فلم يك خلقهـــم من بعـــد هـــذا
سوى رجـــم بغيب فى الدفـــين

وفى الـــروح التى قـــد فارقت
وعنـــدك فيهمـــا علم اليقـــين

الـــى عـــود اصطحابهما لبعـــث
ذووه من الشـــدائد فى فنـــون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فمـا اصطحبـا فهـب يـا الهـى
عـلى ما ترتضـيه من الشـئون

وهـب لـى مسـتقيما فى نجـاة
من الطغيـان ربـى والركـون

وأخلصـنى لوجهـك يا الهـى
لـدى متحـركى ولـدى سـكوت

وفـك من ارتهـان الحـوب نفسى
فكاكا قبـل اغـلاق الرهـون

وتـوبا ثم عفـوا ثم غفـرا
ومغفـرة وعـونا يـا معينـى

لعبـدك انـنى ان لـم تغثنى
تايـل لليـدين وللجبـين

اليـك أتـوب فاقبـل لى مثـانى
وهـب توفيقـك الكافى من بينى

ومـا افترقـا فتوفيـه وصـونا
لكـل منهمـا مـن كـل هـون

بغيبـة برزخ عميت عليـنـا
حقائق مـا بـه غـير الظنـون

ومـا تعنى مـن التحقيق شـيئا
ولـو من عـالم فطـن تبـين

وفى عـــود اصـــطحابهما لبعثى
فآمنـــى المخـــــاوف يوم دينـــى

وحاســبنى ليســـر بعـــد أخـــذى
كتـــابى يا الهـــــى باليمـــين

ومن أهـــل الشـــــفاعة فاجعـــلنى
شـــفاعة أحمـــد الهـــادى الأمـــين

وعـن دار العقـــــاب فزحزحنى
وفى دار الثـــواب اجعـــل عـــدونى

وهب لـــى قـــرة فيهـــا لعينى
باخـــوانى الـــــذين تقـــــدمونى

وخفـــف عنى الخطـــط اللـــــواتى
أجـــوز بهـــن فى الســـفر الشـــطون

الى أن أســـتقر بهـــا ســـليما
بخـــيرات تقرّ بهـــا عيـــونى

فمـــا عـــودتنى إلا جميـــــلا
فعـــاملنى بـــذلك كل حـــين

رجع الى كتاب التمهيد :

* **مســألة :**

وفى رجل ما يقدر يرد نفسه عن الأكل حتى انه ربما يدخل عليـــه الضرر من الشبع والتخمة ، أترى عليه اثما أم لا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

اذا تعمد للأكل يرجـو بـــه ادخـــال الضرر على نفســـه بالتخم أو غيرها ، فيأثم ولا يســـعه ذلك ، وما لم يخـــف فى حـــال أكله من ضرر بنا له منه ، فلا يحرم الأكل عليـــه ، وذلك موكول الى اجتهـــاده لنفسه ، ونظره لها ، وليس له اطلاق عنان مع مخافة العنت .

قلت له : وان أكل بلا جـــوع ، وشرب بلا عطش ، أترى عليـــه شـــيئا أم لا ؟

قال : ان لم يخف من دخول ضرر عليه من ذلك ، فالأصـــل فى الأكل والشرب الاباحة ، ولا يحرمها الا عـــلة خارجة لخوف دخول الضرر .

*** مســـألة :**

ومنـــه : وما تقول فى رجل فيه التخمة من الأكل ، وأكل بعـــده طعاما فوق التخمة ، ومـــات من سبب الطعام ، أتراه سالما أم هالكا ؟

الجـــواب :

الله أعـــلم اذا أكل وهو يرى أن الأكل يضره ، والزيادة منـــه تسقمه ، فتعمد لذلك من غير مبالاة منـــه لنفسه ، ولا مراقبة لربه ، فأخاف أن يهلك بذلك .

وان أكل ما يرجو أنه يصـــلحه ويتأمل أنه ينفعه ، فانقلب الحال الى العكس على ما رجاه وأدى الأمر الى ما فيه مضرته وبلاه ، فلا اثم عليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول اذا سلمت على رجل سلام عليكم ، فقال الراد : مرحبا ، ما يقول المسلم يرد على نفسه السلام أم لا ؟ وما على المسلم بين لنا ذلك ، وقال صلى الله عليه وسلم : « افشوا السلام » واذا سلمنا قالوا لنا مرحبا ما وجه الخلاص ؟

الجواب :

مرحبا ليس برد السلام ، ولا يسقط به الفرض ، وليس على المسلم شيء من ذلك ، انما يأثم المسلم عليه بترك الرد ، لكن الجاهل يعلم مع القدرة والامكان على ذلك الا العذر ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما معنى شيخنا غزارة وعزام اذا سألت رجلا عن شيء من الكلام لأجل حاجتك ، ما بين لك شيئا منه ، ويكون جائعا ، ويقول ما أشتهيه الطعام ، ويكون شيء من الكلام ، ويكون خبر منه ، ويقول : ما عندى خبر ، وما علمت فما تقول فى مثل هذا يطلق على اسم النفاق أم لا ؟ ويكون ما أشتهيه الطعام وهو يشتهيه كذب أم لا ؟

الجواب :

هو فى الأصل كذب ، والكذب فى الجملة معصية ، ولكنها فى مثل هذا من الصغائر ، الا أن يكون لمعنى يبيحه لمن لا يحسن المناديح أو يوجبه فى موضع لزومه ، لكون الخبر المسئول عنه مما لا يجوز اظهاره .

وقد يجوز فى لا أشتهيه مع كونه يشتهى الأكل أن يريد لا أشتريه من عندك ، إما لحياء منه ، أو تخفيفا عنه ، أو لغرض غيره ، فيكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك مندوحة لمن عرفها ، والا فهى صغيرة الا أن يريد بها مصلحة أخيه المسلم ، اما لايثاره على نفسه أو لتقديم حاجته عليه ، أو للتخفيف عنه كما سبق ، أو لغرض آخر نحوه ، فلا يأثم بمثل هذا الكذب ، بل ربما يؤجر عليه ان اقتضت الحال كونه الأفضل فى حقه ، لأنه مما يشبه ما أجيز من الكذب للاصلاح بين الناس ، فكونه لمصالح المسلمين ككونه للاصلاح بين المسلمين بلا فرق ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فى رجل اذا كان له حق على أحد يهرج بكلام ضعيف ، اذا ما أعطى ما له بسرعة يغضب ، ويشتم ما يملك عقله ، ما ترى عليه فى فعله هذا ، أعليه التوبة أم لا ؟

الجواب :

أرى عليه التوبة والرجوع الى الحق اذا خرج عن الجائز فى قوله وشتمه ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : واذا وجدت أناسا جلوسا فى وسط الطريق لا لحاجة ، أيسلم عليهم أم لا ؟ والطريق طريق البيوت يمر فيه رجال ونساء ، وهم سادون الطريق مستورون خلفه أهذا منكر أم لا ؟

الجواب :

قعودهم هذا فى الطريق منكر ، ومادام أهل المناكر على مناكرهم فلا يسلم عليهم ، والله أعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسـألة :**

ومنـه : ما تقول فى رجل يخاطب رجـلا يقول له : أنت ضربت فلانا ؟ فقال له : أكون ولد كلاب ان كنت ضربته ، أتجزيه التوبة أم لا ؟ ويكون هـذا الرجل داخل السب على والديه أم لا ؟ أفتنـا مأجـورا ان شـاء الله ؟

الجـواب :

ان لم يكن فعل فليس هـذا بسب ، والله أعـلم •

*** مسـألة :**

وما تقول فى الرجل اذا أقر أنه ضرب زوجته ضرب الأدب ، أيكون عليه شىء فى اقراره عند أصحابه ، وتلزمه التوبة أم لا ؟

الجـواب :

اذا لم أم يقر بمـا يتعدى به وجه الجواز فى مثله ، فلا يبين لى وجوب التوبة عليه ، انما تجب التوبة على من أتى ما يأثم به فى التأديب الجائز ، ربما يكتسب العبد الأجر اذا قام به احتسابا لله تعالى ، وربما يلزم ذلك ، والله أعـلم •

*** مسـألة :**

ومنـه : وفى الذى يلاعب ولده ويقول : أنت حمار ولد الحمارة ، أو ولد الحمـار ، أو ولد الكلاب أنت ، ما على القائل فى هـذا الخطاب لولده ، وعلى السامع أن ينهيه عن ذلك أم لا ؟

الجـواب :

لا يجوز هـذا ، وينهى عن ذلك الا أن يكون صـادقا فيما قاله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجازا من غير قصـد شتم لمن لا يسع ذلك ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فيمن يرفع رأسه قبل الامام فى الصـلاة : « أيأمن المصلى اذا رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسـه رأس حمار » فقيـل : أن توجيهه انما عبر فى تحويله بالمجاز على معنى المجاز لقـلة نباهته فى الدين ، وسـخافته فى العقـل ، بتفويت المقصـود من التبعية ، وعلى هـذا فليقس .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقول فى رجل يسب رجلا على حضـور رجل آخر ، ويضـحك الرجل الآخر الحاضر بين السباب والمسبوب ، ويعلم هـذا الحاضر أن السباب مخطىء ما على هـذا اثم أم لا ؟

الجـواب :

ان كان هـذا السب باطلا فلا يجوز ذلك ، وعليهما التوبة منه ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : واذا جرت معاتبة بين الاخوان فى شىء من المسـائل ، فقال واحـد لصاحبه : أخطأت فاستغفر الله ، فقال : أسـتغفر الله المعظيم مما خالفت فيه الحق والصـواب ، قال الثانى : أعنى المستغفر وأنت استغفر ، فرد عليه أنا تائب من زمان ، أو مستغفر من زمـان ، أترى على الأول والثانى شىء من الكلام ؟ بين لنا طريق الحق .

الجـواب :

لا أرى عليهما شـيئا فى ذلك ، والثانى أخبر عن التوبة لا أحدثها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا لم يلزمه اظهارها لأمر حادث منه فى الحال يوجب عليه ذلك ، فهذا كاف ، والله أعلم .

مسألة :

ومنه : وفيمن قال لرجل : يا فلان أريد منك أن تدور لى أجيرا للخدمة ، أو وكيلا لقبض وبسط ، فجاء بأجير ووكيل ، فقال له صاحبه : أنا ما عزمت على الأجير هذا ، ولا على الوكيل ، أيكون على المريد خلف وعد أم لا ؟ وماذا عليه فى كلامه أتلزمه التوبة أم لا ؟

الجواب :

هذا وعد وان رأى لنفسه صلاحا فى تركه ، لم يحرم عليه ، وان كان الوفاء مما يحرم به الا اذا خاف من مضرة فى نفس أو مال ، فيمنع الوفاء به ، والله أعلم .

مسألة :

ومنه : وما تقول فيمن استضافه انسان فأدخله فى بيته على طعامه ، أيجوز له أن ينظر الى ما فى البيت من الأوانى والثياب وغير ذلك ، أم لا يجوز له ذلك ، وقد أباح له الدخول على الطعام ، وكذلك هل يجوز له أن ينتقى الذى يستحسنه لنفسه من الرطب أو من التمر والفواكه ، أم فى ذلك من الكراهية أم تقصير فى الأدب ؟

الجواب :

لا بأس بذلك كله لعدم الحجر فيه ، والله أعلم .

مسألة :

ومنه : فيمن كان مارا فى طريق المسلمين ، فمرت عليه نساء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضـــاع اليه منهن روائح طيبة ، أيجوز له أن يشـــمها عمـــدا ويكون آثمـــا فيما بينه وبين الله تعالى ؟

الجـــــواب :

الله أعـــلم ، ولا يبين لى حجر شم الروائح الطيبة اذا انفصـــلت وبعدت عنهن ، ولم يكن شـــما منهن فهو حـــلال ، وانما الحجر الشم منهن اذا كن من النســـاء المحجورة على من فعل ذلك ، والله أعـــلم .

*** مســـألة :**

ومنـــه : وهل تقول فيمن خرج من بيتـــه مسافرا لزيارة بعض من الاخوان فى الله تعالى ، فوافق الأيام المستحب صـــومها نفلا ، وهن أيام الصـــبر ، أو أيام البيض ، أو عاشر المحرم ، وبالجملة فكل صوم كان منـــه نفـــلا ما الأفضـــل له ، الصـــيام أم الافطار له ليدخل على أخيـــه فاطرا ؟

الجـــــواب :

كله جائز حسن ، واذا لم يخف الجفاء على أخيه المؤمن بأن يتهمه انما صـــائم تحرجا من طعامه ، فالصـــيام أفضـــل ، ومع خوف ادخال الجفاء على أخيه فالافطار أفضـــل .

*** مســـألة :**

ومنـــه : قوله تعـــالى : (والمستغفرين بالأســـحار) فهل لهـــذا الاستغفار شروط فى ذلك الوقت المعين ، أن يكون الانسان فيه متوضئا ومصـــليا ما شاء الله تعالى من الصـــلوات ، ثم يكون الاستغفار بعـــد ذلك ، أم ليس له شروط ، ولو كان الانسان مضطجعا على فراشـــه ، أو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مارا فى الطريق ، أو على أى حالة كان ، وهـذا الاستغفار الذى ذكره الله تبارك وتعالى عن اللازم ، أم فضـيلة ووسيلة ؟

الجـــواب :

لا يحتاج الى شرط ، ويستغفر الله تعالى عفى أى حـالة كانت ، قائما وقاعدا ومضطجعا ، وراكبا وماشيا ، وجالسا وسائرا ، انما بشرطه الاخلاص ومواطآت القلب اللسان ، وصـدق النية والعزم ، والاخلاص لله تعـالى ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقول فيمن كان محـدثا من بول أو غائط أو جنابة ، فذكر شيئا من ذنوبه ، ونظر الى عورة ، وفعل شـيئا مما يلزمه عنـه الاستغفار ، أيجوز له أن يستغفر ربه على ذلك الحال أم لا ؟

الجـــواب :

نعم يجوز له فى موضـع اللزوم ، يازمه ولا يمنع منه فى موضع ما يؤمر به جنابة ولا حيض ولا غيرها ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما تقول فى المصـلى اذا سلم عليه وهو فى الاقامة أو التوحيد قبل أن يحرم ، أيجـوز له رد السـلام ، وكذلك اذا كان فى التحيات قبل أن يسـلم ؟

الجـــواب :

يعجبنا له أن لا يرد السلام الا بعـد فراغه من الصـلاة ، لأنه اذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رد السلام فى هـذين الموضـعين وجبت عليـه اعادتهما فى أكثر قول المسلمين ، فيكون مبطلا لهما برد السـلام •

❊ مسـألة :

وهذه : قـد قال الله تعالى فى غير موضع من كتـابه الشـافى العزيز : (لا يكلف الله نفسـا الا وسعها) واتفق المفسرون على أن الوسع هنا الطاقة ، وفى الحـديث قد تواتر أن الشارع صلى الله عليه وسلم قال : « ان دين الله يسر ليس فيه عسر » •

وقد تقرر التكليف والقصد بأن يقيد المبتلى نفسه لولى مقتوله ، وان يستسلم للقصـاص لفقء عينيه ، وصـلم أذنيه ، وجدع أنفه ، وأن يبذل حبة قلبه ، وجلحلانة فؤاده ، وقرة عينيه للقتل ، والقتل بحد السيف أهون موقعا على النفس من قتل بحـد فراق ، ولا بـد له من ذلك ، ولا سلامة هنالك الا بالتسليم والتفويض وتوطين النفس فى ذلك المقـام الدحض والا فالهلاك ، وقـد علم بالضرورة أن هـذا مما ليس من وسع النفس ، ولا طاقتها وأنها نفارة منه مشمئزة عنه •

وانمـا يمنع جماحها ، ويردع شماسـها فارس الايمـان واولاه لطوحت به المطاوح المهلكة ، فما معنى الآية الكريمة ، والرواية القويمة ، بل معنى اليسر والعسر ، وما المراد بالوسـع الذى لا يكلف المتعبـد الا اياه ، أوضـح لنا كل ذلك حتى لا نكون فى لبس منـه ، ونكون على بصيرة من أمر ديننا ، فانه لا بد لنا من ذلك ، ولا عـذر لجاهل وك عظيم الأجـر وكريم الذخـر •

الجـواب :

نعم ان دين الله يسرا كله لا عسر فيه ، ولا تكليف لمـا لا طاقة

له به ، فلا تك فى مرية من هـذا أنه الحق ، ولا شـك فى ذلك ، فان الله سبحانه قـد تعبد الخلق بالايمـان ، وأمرهم بالعـدل والاحسان ، وفرض عليهم الزكاة والصـيام والحـج ، وشرع لهم ترك المحرمات والمآثم ، ومنعهم من الجور والمظـالم والقبائح كلهـا ، وهـذا كله على الموفقين سهل يسر ، وليس هو بالعسر ، فمن اتبع شـيطانه وهواه ، وخالف أمر الله وهـداه ، فنقض بنيـة مولاه ، فظلم منه اذ تعـده فأراده فأثر فيهـا جراحا أو قتلا صراحا ، فقد لا يخفى بأنه فى حينه قـد خرج مختارا فى هـذا الفعل عن اليسر الذى هو من دينه ، والله تعالى هو الحـكم العدل ، وله فى خلقه الحـكم العدل •

فلا بد من انفاذ عـدله فيه كمـا توجبه السياسـة ، وتقتضـيه ولا سبيل الى انفاذ العدل فى هـذا الموضع الا بما يوجبه من القصاص والقتـل ، لتساوى الخلق فى أحـكام الخلق فايلام الجارح أو القاتل بايلام المجروح أو المقتول سواء بسـواء ، وتلك جريرته على نفسـه فلا نقص ولا مزيد •

ذلك بما قدمت أيديكم وما ربك بظلام للعبيد ، ألا وان الحـكم بغير هـذا يقتضى الظـلم والجـور ، والله منزه عنه ، وقـد اتضح أن وقوع هـذا فيمن يستحقه ليس من أمر دينه فى شىء ، وانما هو جنايته على نفسـه لمخالفته أمر دينه ، وخروجه عن حض شريته ، فالدين يسر ولا تكليف فيه ، ومن بغى فجريرته عليه (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسـكم) •

وهـكذا القول فى الحـدود والعقوبات التى اقتضـتها أحـكام السياسة ، لاقامة نواميس العـدل ذبا عن محارم الله تعـالى ، واذا انتهكت فانها من واد واحـد ، وقـد اقتضاها مقام العـدل بالحـكمة والفضـل ، وليس ذلك مضـادا لكون الدين يسر ، فانها فى الأصـل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليست من العبادات المشروعة على المكلف ، ولا مما أمر بالاتيان بما يوجبها قطعا ، وانما اقترفها الفاعل جناية على نفسه ، فاستأهلها بحكم السياسة والعدل ، صونا عن انتهاك حمى الله تعالى ، فان لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه ، فانتهاك حرمة الله تعالى أشد من انتهاك حرمة العبيد ، باقتحام البيوت وغيرها •

وفى ذلك يهدر الدم باقامة الحدود فى هذا كذلك ، ألا وان هذه الحدود والقصاص والقتل ونحوها ، قد أشبهت معانى الحقوق فمن وجب عليه حق فى نفس أو مال فلا بد من أدائه لربه ، فقد يخرج الغنى من أمواله أجمع اذا وجبت عليه الحقوق فيها ، ولابد كما تتضاعف المحبة عليه ، ببذل النفس اذا وجب الحق عليها •

وقد كان قبل أن يحر على نفسه أو ماله فى سلامة من ذلك كله ، ولم يكن من ذلك فى الأصل مما أمر به فى دينه ، وانما حصل التكليف به بأسباب خارجية صدرت من فعله ، بواسطة هواه ونفسه ، وشيطانه ، فلم يكن فى الدين ما يحط الواجب عليه ، وليس ذلك بقادح فى الدين ، ولا مفيد كونه غير سر ، ولا مقتضيا لتكليف ما لا يطاق ، فان عذاب الله تعالى وغضبه هو الذى لا طاقة به لأحد أبدا •

ومن رحمته أن شرع بحكم عدله القود والقصاص ، لمن تاب من بغيه ، ورام الخلاص ، فقد سهل له المخرج من الهلاك الأبدى ، وأتاح له الفرح من العذاب السرمدى ، ببذل نفس غايتها الموت ، ونهايتها الفوت ، فكان له فى ذلك أوسع رحمة ، وأوضح تخفيف ، مع قطع النظر عن شدة الايلام الحاصل فى مقام العدل ، بحكم القهر ، الذى تقتضيه الحال ، ولا بد لعدم اتصافه تعالى بالجور ، ولكونه الغيور الذى لا يرضى بانتهاك محارمه أصلا ، هذا والتحقيق فى تكليف ما لا يطاق ، انه على نوعين :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أحـــدهما : ما لا طاقة به حقيقة وعقلا ، كتكليف القاتل أن يحيى من قتله ، أو الجارح أن يبرىء المجروح من جرحه من ساعته ، وأن يرفع عنه الألم قبل اندمال جرحه ، أو ان يرد عينـا قلعها أو يدا قطعها ، أو عضـوا باندمال موضعه ونحوه ، فهـذا الباب من تكليف ما لا طاقة له به ، ولا يجوز على الله تعالى أن يوجبه بعدله على أحـد من خلقه ، كما لا يجوز تكليفه أن يعرج فى الهوى ، أو يرقى فى السـماء أو يخط القرآن فيثبته على صـفحات المـاء .

وثانيهمـا : ما لا طاقة به عـادة طبعا ، وليس بالممتنع تكليفـه شرعا ، فانه من الممكن وقـد تدعو الحاجة اليه لأمر أهم منه ، فتكون التكليف به حسـنا ، ولا يلتفت الى كراهيـة فى النفس ويشـاعته فى الطبع ، فان الأمارة بالسوء لا رأى لهـا ولا حـكم فيمـا اقتضـت الحكمة الزامها اياه ، وهـذا الباب هو الذى وقع منك البحث فيه كلام القود والقصاص ، والخروج بالنفس والمـال فى الحج والجهاد ، ومنه ما وقع لبنى اسرائيل قديما من قتل أنفسهم توبة من الله عليهم ، ورحمة منـه لهم .

ومن ذلك أنه اشـترى من المؤمنين أنفسـهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وهـذا باب واسـع كبير ، وليس هو مما يعـلم ضرورة أنه مما ليس فى وسـع النفس ، ولا طاقتها ، وان كانت مشمئزة نافرة منه ، فان طبعها الذميم ، وخلقها الخبيث ، فيفر عن تحمل أعباء التكليف الدينية ، وان كانت مما تقوى عليه ، ولا صـعوبة عليهـا لديه ، فكيف بالمستصعبات من مثل هـذه الأمور المتعبات ، والمشاق التى أدخلها العبد على نفسه ، فكانت هى السبب الى ما يفضى به الى حلول رمسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والله يحكم فلا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، فالقول بأن هذا مما لا طاقة به انما هو من قبيل العادة والطبع ، ومقتضى مألوفات النفس والركون الى الدعة والراحة ، بتوفير دواعى الحظوظ العاجلة ، وذلك لا عبرة به لظهور المصلحة فى غيره ، لشمول العدل ووجود الانصاف الذى به قوام نظام الممالك فى العالم كله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ، فوجود العدل منه هو غاية الفضل ، ولهذا قال : (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) •

ولقد رأيت أن الخوض فى هذا الباب ، يتسع فلنمسك عن المزيد ، وان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، والله أعلم فلينظر فيه •

جواب آخر لهذه المسألة الشريفة :

قال : ان قوله : « دين الله يسر » كلام فى غاية الحسن ، ونهاية الشرف ، وهو من جوامع كلمات الحديث ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فحكمه فى الوزن اذا اعتبرت الحقيقة مثل قوله تعالى : (ورحمتى وسعت كل شىء) وهى كذلك فلا شك فى الدنيا والآخرة ، فدينه تعالى باعتبار تكاليفه الأصلية التى ورد بها مطلق الأمر منه ، أو النهى عنه ، هو كذلك وهو السبيل الموصل الى جنة الخلد ، ودار النعيم ، فلا يجوز أن يكون عسرا ، فتكون للمكلف به الحجة فيه ، ولله الحجة البالغة على عباده •

وليس ذلك باعتبار الأحكام والعدل ، وان كان ذلك من الدين ، ففيه خاص وعام ، باعتبار المقام فان موضع العدل والجزاء والعقوبات ، وان كان من أمر الدين ، فان له شأنا آخر لغة وعرفا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولهـذا خص الفقهاء فى مسائل الفقه فقالوا : هـذه كتب الأديان ، وهذه كتب الأحـكام ، وهـكذا .

فعلى هـذا فالمراد بالدين الميسر ، ما ثبت التعبد به ابتداء بأمر إلهى فيمـا يدخل تحت قـوله تعـالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) ولا يشمل ذلك ما تقتضـيه سياسة العدل من الانتقام ، والقهر للعصـاة وأهـل البطش والفسـاد ، من موجبات القتل والأسر والطرد والقصاص ، ولو ثاب أحـدهم بعد الموافقة ، فليس له الا حكم ما ثبت عليـه .

ولهذا قيل : لمـا أنزلت قوله تعالى : (ورحمتى وسعت كل شىء) تطـاول لهـا طريد الملائكة ابليس لعنـه الله ، فزعم أنه شىء فبكت بقـوله تعالى : (فسأكتبها للذين يتقون) الآية تخصصا بمفهومها عن التمسـك بعمومها ، ويجوز فى صريح الآية ، وصحيح تلك الرواية أن يحملا على عمومها ، بتأويل خاص لهما ، فان رحمته تعالى على أوجـه شتى ، ولكل فريق ما يخصـه منها باعتبارات تليق به ، كما أن دين الله يسر على كل مبتلى ، ومعـافى ، ولكن هـذا باعتبـار وذاك باعتبـار آخـر .

وقـد مضى فى الجواب الأول ما يدل عليه فلا نطيل به هاهنـا ، وعلى نحو هـذا يطرد القول فى تكليف ما لا يطاق ، فان كان المراد به ما يستحيل كونه فهو على اطلاقه ، وان كان المعنى به ما تكرهه النفس ، وينفر عنه الطبع ، ولا يحتمله الانسـان من شـدة الألم وما فوقه ، فالشرع قـد يوجب هـذا ، والعقل لا يأباه ، وقـد مضى ما دل على ذلك مفصـلا ، وكفى به ، والله أعلم فلينظر فيه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسـألة :**

ومنـه : وفى رجل ساكن عند قبيلة مثل بنى بو حسن ، والرجل يكون منذريا اذا كان فى البلد يكتب منذرى ، ويكتب هو نفسه منذريا ، واذا كتب هو لأحـد من القبائل كتب نفسـه حسنى ، وكان اذا كتب نفسه منذرى لم يعرف أيحل هذا أم لا ؟

الجـواب :

لا يجـوز أن يكتب نفسـه حسنى وينتسب على أصـله ، والذين لا يعرفونه اذا أخبرهم ليعرفوه ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وما حـد الجوار وجدنام فى الأثر أربعون بيتا دائرية ، أم كيف يبن لنـا ذلك ؟

الجـواب :

نعـم حـد الجـوار الى أربعين من كل جـانب . وجهتـه ، ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنه : وفى الثوب المصبوغ بالزعفران أو الورس أيجوز لبسـه للرجل أم لا ، وان كان أحـد من الفقهاء كره على المؤمن استعماله ، لأنه زينة ظاهرة ، وما تفسـير الرواية التى تروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طيب النسـاء لون لا ريح له وطيب الرجـال ريح لا لون له » أهـذا نهى تحريم أم أدب ؟ واذا لبسـه أحـد من المسلمين ، ولم يرد به خلافا جائز له ذلك أم لا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب .

لا يجوز لباس الثوب المصـبوغ بالزعفران للرجال ، وأما بالورس فقـد أجازه بعض الفقهـاء ، وكرهه بعضـهم ، وأما طيب النسـاء فما ظهر لونه كالزعفران ، والغالية ونحوهما ، والطيب المستعمل طـلاء على ظاهر الجسـد ، ولا يحرم عليهن ما ظهر ريحه ، وانتشر اذا كن قعودا فى البيوت ، ويحجر عليهن ان أردن الخروج ، وملاقات الرجال الأجـانب .

ويمنع الرجال من التطلى بمثل هـذا الزعفران وما خالطه ، فكان له حكمه ، فطيبهم ما خفى لونـه كالمسك والعنبر والبخـور وغـيره وما أشبه ذلك ، وفى هـذا يشتركون هم والنسـاء اجماعا اذا كن فى بيوتهن ، ويتطيبن به لأزواجهن ، فـدل هـذا أن طيب النساء ما ظهر لونه بمعنى الخصـوص ، وان جاز لغيرهم من النسـاء حيث لا مانع .

ومعنى خفى ريحه فى طيب النسـاء أى قل كنحو الآس والصندل واللورد اليابس وما يشبهه ، وليس المراد عـدم الريح ، فان ما لا ريح له لا يسمى طيبـا .

فحاصل المعنى أنه ما خفى ريحه بالنسبة الى غـيره من الأطياب الشديدة الأرج لتفاوت منازل الريح فى ذلك ، فرائحـة الآس خفيفة بالنسـبة الى ريح المسـك ، وعطر العود وجل الورد أمثالها ، فاعرف ذلك وقس عليه ان شـاء الله ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وفى رجل يخـدم الذهب للرجال أيجوز له ذلك أم لا ؟ وكذلك النسـاج يعمل الحرير فى الثياب ليلبسـوها ، أيجوز له ذلك أم لا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجـــواب :

الله أعـلم ، وان كانت صـياغة الذهب للرجال وهو يعلم أنهم ليلبسوها فهـذا غير جائز ، وان احتمل لغير لباس الرجـال الممنـوع فجائز ، وكذلك الحرير على هـذا ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وفى رجل ركب فوق دابة أو سفينة بكراء أو غير كراء ، لأنه أخبرنى رجل أن الراكب فوق السـفينة والدابة لا يقـرأ القرآن فوقهما الا باذن أصحابهما ، أهذا صحيح أم لا ؟

الجـــواب :

هـذا غير صـحيح ، ويقرأ القرآن ، وله الأجر فى ذلك ، وليس عليه استئذان ، والله أعـلم .

*** مسـألة :**

وروى لنا عن زاهـد كان يتعاهد بالوصـول الى موسى بن على رحمه الله بأزكى حتى ولى القضـاء ، فلما ولى القضـاء انقطع عنه الزاهـد ، ويراجع سعيد بن جعفر بعد من أزكى فقيل للزاهد فى ذلك : فقال : ذلك قـد دخل فى الدنيا وأمور الناس ، فأرسـل أبو على الى سعيد بن جعفر أن يكون ينظره الزاهـد معـه حتى يصل موسى اليه ، فامتنع الزاهـد عن ذلك ، فلم يزل سعيد بن جعفر بالزاهـد الى أن أجاب الى ذلك ، فوصـل موسى بن على اليه رحمه الله ، واجتمـع الزاهـد وموسى بن على ، وسعيد بن جعفر . انتهى ما أردنا نقـله من خبر الزاهـد .

وقلنا : فكيف أيها الشيخ يمتنع هـذا الزاهد عن مواصـلة هذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجهبذة البصير ، والعالم الكبير ، ذو العقد والحل ، والرأى والتدبير رضوان الله عليه ، أفليس من الواجب أو الوسائل أن يعان أو يظاهر على كل من قام به من أمور أهل الايمان بدلا عن الانقطاع ، واظهار الجفاء للاخوان ، تفضل بين لنا معنى ذلك وعذر فاعله ؟

الجواب :

اذا عرفت أصلين لم يشكل عليك ما كان من نحو هذا :

الأصل الأول : أن الناس فى الطاعة على منازل كثيرة ، ومراتب جمة ، وقد يتقرب هذا الى الله تعالى بنوع من الطاعة يقوى عليه ، ويكون فيه صلاحه وهو طاعة ، وقربة الى الله تعالى ، ويتجنب عنه الآخر ، ويكون فيه هلاكه لو أخذه وعمل به وقارفه ، وكل هذا حاصل موجود فى الأمور الدينية والدنيوية ، وشاهده فى الأمور الدنياوية قول أبى الطيب :

ويختلف الرزقان والعقل واحد
الى أن ترى احسان هذا لذا ذنبا

والأمثال فيه كثيرة ظاهرة ، لم يحتج لبسطها ، ومثاله فى المقامات الدينية مرتبة يوسف الصديق ، اذ طلب الامارة وقال : (اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم) ومنزلة أبى ذر بن جندب ، لما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوليه شيئا من أعماله فيها وقال : « أراك ضعيفا » فالعملان واحد واختلف الحال .

والأصل الثانى : أن تعلم أن الهجر والوصل أمران قلبيان ، أى هما من أعمال القلوب ، لا من أعمال الجوارح ، فقد يكون المرء واصلا بقلبه ، وان لم يصل بجسده فقد يكون المانع عن مواصلة الأجساد أمور كثيرة يضيق بشرحها المحل ، وأكثر ما يعتنى بها أهل المراقبة والمحاسبة لدقائق الأسرار الباطنية ، من مخافة التصنع والرياء

والعجب ، وحب الشهرة ، والسمعة والثناء ، والمدحة وغير ذلك من العوائق يطول ذكرها ، والمرء نفسه مطيته ، فعليه أن يسوقها الى ما يرجو فيه صلاحها وفلاحها .

ولئن كان هذا الزاهد متنبلا الى الله تعالى بملاحظة نوره ، لدوام حضوره وخاف أن يشغله عن ذلك لقاؤه ، فغير ملوم إباؤه ، ولا يستغرب مثل هذا لمن سمع أن ويس القرنى قد طلب عمر بن الخطاب فى خلافته ، لصفة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وكان يطلب أن يستغفر له فعثر به ذات مرة ، فسأله عن اسمه فكتمه حتى أخبره بما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فأظهر لهم الامارة امتثالا للحديث ، ثم ذهب فلم يجدوه بعدها ، وكان فى نسكه معروفا بالخمول ، وتلك طريقته وهو مذهب معروف ، ومنهج مألوف ، لذوى العبادة ، من أهل النسك والزهادة ، يتقربون به الى الله تعالى ، وقد أوشد اليه الحديث الوارد فى ذلك محبة ذلك نحو : « رب أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له أو أقسم على الله لأبره » ومثل هذا لا يتم لهم الانقطاع الجسمانى عن أكثر الخلائق ، لأنهم مفتاح العلائق ، (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) وهم مع ذلك واصلون من أمر الله أن يوصل ، ومحبون لمن قام بأمر الله ، ورضوان بانفاذ أوامر الله تعالى .

ولكن أنفسهم لا تقوى على ذلك ، وبالمشاهد والحضور يتأكد خوفهم من لزوم أسباب فى الظاهر والباطن ، قد كانت السلامة منها ، وليس لهم فى غير السلامة مطلب ، ولا لهم إلا الى الله تعالى مهرب ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا يعترض هذا بأن الفضل غيره ، فنعم قد يكون ذلك فى حق الأغبياء ، وأما هؤلاء فقد يجوز أن يكون ذلك هو الأفضل فى حقهم ، وقد يكون الأفضل غيره ، فعجزوا عنه ولم يطيعوه .

وقد يحتمل أن الأفضل غيره فتركوه الى المفضول حيا لما فيه السلامة ، وعدم الضرر لعله الخطر ان كان تركهم لذلك عن بصيرة ونظر ، وان كان على غير هذا فقد يحتمل أن يغلب الجهل على أحد أو تنفر نفسه بغير حجة ، أو يعمل شيئا بغير دليل .

ونحن لا نحمل هذا الزاهد ولا غيره من المسلمين على ذلك ، لأن المسلمين يحسن الظن بهم ، ولكن قد غاب عنا أمر هذا المسئول عنه ، فجاز فى الجواب هذه الصورة كلها ، وأكثر منها ، ولا حاجة الى استقصاء ذلك ، وانما أردنا بيان احتمال العذر لما أشكل عليك وجهه ، والله أعلم فانظر فيه .

*** مسألة :**

ومنه : سأل عن من يحزنه ذم الناس وعدم اقبالهم عليه ، ويكره مدحهم ، فماذا عليه حينئذ عند ذلك ؟

الجواب :

متى آلمك عدم اقبال الناس عليك ، وتوجههم بالذم اليك ، فارجع الى علم الله ، فان لم يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد مصيبتك بوجود الأذى منهم ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : قلت له : أو يجوز للعلج المملوك البالغ أن يدخل على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سيده أو على سيدته ، أو عليهما بغير استئذان فى غير الأوقات الثلاثة المعروفة بالعورات ، فى محكم الآيات ، فان قلت : لا ، قلنـا : ما معنى قوله تعالى : (ليس عليكم ولا عليهم جنـاح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) ؟

الجـــواب :

قال : نعم ، يجوز أن يدخل العبـد على سيده بغير استئذان فى غير تلك الأوقات الثلاثة ، وكذلك على سيدته اذا كانا مترددين فى الخـدمة متكررين فى شغلهما وحوائجهما ، وأواهما فى سائر الأوقات لا يستغنيان عنهما رخصة من الله تعالى ، واباحة ، وأما أظن الا أن عبيـدك يدخلون عليك فى هذه الأوقات بغير اذن حيث لا مانع ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : فى رجل نوى فى قلبه قطيعة لأرحامه ، ولم يلفظ بها لسانه علانية ، أتجزيه التوبة والرجوع الى الله مما اعتقده فى قلبه من القطيعة لأرحامه ، أم يحتاج الى خروج اليهم بين انا ذلك ؟

الجـــواب :

عليه أن يرجع فى قلبه ويتوب الى الله من نيته ، ولا يلزمه غـير ذلك الا اذا وجبت عليه مواصلتهم فى حال ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : فى الاستغفار أهو توبة أم لا ؟

الجـــواب :

انه توبة ، والله أعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسـألة :**

ومنـه : وعن الطيب بالزعفران وما أشبه ذلك من ذوات الألوان كالورس والسوران ، أجائز استعماله المذكران مطلقا أو مكروه أو محرم قطعا ، أرشدنا يرشك الله ؟

الجـواب :

قيل : لا يجوز للرجال التلطخ بالزعفران والادهان به حرام ، لأنـه ليس من طيبهم ، ولثبوت النهى عنـه فى الحديث المروى عنـه صلوات الله عليه : « ثلاثة لا تقربهم الملائكة بخير : الجنب والحائض والمترفن بالزعفران » فالمترفن هو المدهن به ، وهو خاص بالرجال فى قولهم ، فهو ثالث الحرير والذهب ، وفى قول آخـر : فهـو مكروه ولا يبلغ به الى تحريم ، وفى قـول ثالث : فلا بأس بالطيب به ولو لطخ الرجـل منـه رأسه ووجهه ، فلا شىء عليه هكذا فى كتاب المصنف ، ولعل الحديث معهم متأول ، والعصفر أشبه شىء به ، وهو السوران فيجـوز أن يكون لـه حكمه الا أنه أسهل لعـدم النص عليه ، والورس أقر بهمـا الى الجواز ، ولا يتعرى من التكريه ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وعمن دعى الله تعالى بأسمائه الحسنى ، ولم يصـل على النبى صلى الله عليه وسلم ، أيرفع دعاؤه أم لا ؟ أرأيت اذا لم يرفـع وصلى أول دعائه وأوسطه وآخره أيجزيه ذلك أم لا ؟

الجـواب :

لا أدرى ما عند الله فى هذا وغيره ، فانـه من الأسرار الخفية ، والأمـور الغيبية ، التى لا يطلع عليهـا غـير الرب سبحانه وتعالى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما بحسب الظاهر فقد جاء فى نص الكتاب من قول الله تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ولا يكون طيبا الا بالاخلاص ، ولا يكون العمـل صالحا إلا بالتقوى .

ولا يحصل التقوى إلا بالورع ، فاذا اجتمعت للعبد هذه الشروط ، ودعى الله بجمع همة وحضور قلب ، وكان حسن الظن بالله تعالى ، موقنا باجابته ، ونجح وعـده فالله قريب من عبده ، يجيب دعـوة الداعى اذا دعـاه ، وقد جعلت له فى هذا الموضـع الصـلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بمنزلة الشفيع بين يدى مولاه ، ليكون أقضى لحاجته ، وأنجح لغرضه ، وقد دل على ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : « الدعاء موقوف بين السماء والأرض حتى يصلى على » فاذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم فى أول دعائه ، أو فى أوسطه أو فى آخره ، كان كافيا ، والمأمور به أن يكون كذلك فى أوله وأوسطه ، ان أمكن وآخره ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلونى كقدح الراكب آخـر ما يعلق » نهيا عن الاجتزاء بالصـلاة عليه فى آخـر الدعاء ، فيكون ذلك عـادة مستمرة لفاعلهـا ، لا نهيـا عن الصـلاة عليه فى آخـر الدعاء ، لمن لم تكن تلك عادة له ، فهذا ما حضرنى فى الحال من جواب مسألتك ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وفيمن ابتلاه الله ببلاء ، وقيل له : ان هذا البـلاء هـو الزار المعروف عند أهل مسكد وغيرها ، ودواؤه وشفاؤه باستعمال الرقص واللعب ، واعطاء الأجـرة من مال المبتلى للذين يعملون ذلك ، أيجـوز له أن يقصـد الى التداوى بهذا الدواء لاسيما اذا كان من ضرورة ، ولم يرج له الشفاء إلا بذلك الدواء الرقص واللعب ، وما ترى على فاعـله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد النهى له ، وعلى أعانه عليه ورضى به ، وشـــار عليه بذلك ، وشايعه عند خروجه قاصدا على هذه النية ، أكلهم سواء فى الاثم على الجهـل منهم أو العـــلم •

الجـــواب :

ان المزار المعروف عندهم الآن هو نوع منكر لا يجوز على حـــال ، ولم يجعل الله تعالى شـــفاء فى الرقص واللعب والفســـوق ، مع أنـــه خطر على المريض لمـــا فيه من الضرب بالسياط على غير استحقاق لا الى حـــد يبـــاح ، فما هـــو الا نـــوع من الظلم ، لا يجـــوز على الجهـــل ولا العلم ، وكأين من فتى قد حان بذلك حمامه ، وقدر له بـــه من المـــوت الفجيع زؤامه ، فكيف يستباح ما لا يبـــاح فى دين المولى ، فلا يجـــوز لذلك لفاعله ، ولا للمعين ولا للدال عليه •

وعلى كل قادر أن يزجرهم عن المناكر ، فانه من الواجب على حـــال وعلى فاعله والمعين عليه والآمر به ، والدال عليه ، أن يرجعـــوا كلهم بالحق الى صدق التوبة ، والخروج من الحوبة ، فان ربك لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ، والله أعلم •

*** مســـألة :**

ومنـــه : أيجوز للرجل أن يتختم بخاتم الذهب ان كان لباســـه له فى أصبع يده اليمنى ، خـــلافا لمـــا جاءت به النســـنة ، لكى يحل لـــه لباسه ، أم ذلك كله ســـواء ؟ وما مقـــدار ما تجـــوز بـــه الصـــلاة من الذهب ؟

الجـــواب :

لا يجوز للرجل لبس الذهب فى خاتم ولا غـــيره ، وقليـــله وكثيره

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سواء على أشهر القـــول ، واليـــد اليمنى واليسرى ســـواء ، وكله حجر الا من كان له فى شىء من ذلك عذر ، فلكل ما يخصه ، والله أعلم •

*** مســـألة :**

ومنـــه : فى رجل مر بأناس فسلم عليهم ، فردوا عليـــه الســـلام فقالوا له : اقرب معنـــا ، فقال لهـــم : يقرب الرحمن أو قريب منـــكم الرحمن ، أيجـــوز له هذا اللفظ أم محجور عليـــه البتة ، كان المـــار عليهم ثقات أو غير ثقات ؟

الجـــواب :

هذا كله جائز سواء كانوا ثقات أو غير ثقات ، وقريب منكم أوضح والثانى جائز ما لم ينويه قرب الأجســـام والمســـافاة ، ولـــكن ما نظـــن أحدا يعتقد ذلك ذلك ، فيحجر بسببه على من خص بذلك ، والله أعلم •

*** مســـألة :**

ومنـــه : وفيمن لـــه أحـــد يخصـــه من زوجـــة أو ولد أو مملوك أو قريب ، فعارضه شىء من العوارض كالمشهور بالزار عند الحبشـــة ، فاستمر به المرض ، فقال المريض لوليه ذلك : انه يريد يتداوى ، فســـكت عنه أو قال له : افعـــل أو بنظرك أو أعانه بشىء من المال ، وهـــو لا يعلم فى ذلك الحين أى الدواء يريد يتداوى به ، لكن يغلب على ظنـــه أنـــه عمل شىء من المناصى ، مثل شرب شىء من النجاسات كالدم ونحوه •

ومثل أن يضرب له الطبل ، ويجتمع لـــه أراذل الناس يكفحون لـــه ويغنون فيلتهون بذلك ، ويلعبون وذلك دواء مع أهل هذا الشـــأن فى هذا الزمان ، ولا دواء له فى المتعارف معهم ، وإلا غلب من أمورهم ولا يبرأ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلا أن يضـع له مثل ما ذكرت آنفا ، وألا يبقى متعللا مدة حياته الى أن تحضره الوفاة أيانحق وليه يأس ان سكت عنه ، وأعرض غير ذلك وتغافل فلم يأمر ولم ينه ، أم لا تفضـل بين لنا ذلك ؟

الجـــواب :

الله أعلم : والذى عندى فى مثل هـذا الزار وعلاجـه بالمعاصى والأوزار أنه لا جواز له فى حـال ، لأنه نوع ضلال ، لما به من فسـاد ظاهره فى العباد ، وليس هو من التداوى الجائز فى شىء أبدا وأما الاذن فى الدواء المباح ، فلا يخفى جوازه ، والاعانة عليه وسـيلة يطلب بهـا الأجر ، وربما يجب التداوى ، ويلزم مع القدرة عليه فى موضع الضرورة اليه ، فان جهل ما يتداوى به من مبـاح أو محجور ، لم يجز الاذن على الاطلاق ، فالتداوى بالمبـاح مباح ، وبالمحجور محرم ، وبالمكروه كمثله ، والاذن به تبع له فى جميع وجـوهه ، والاعانة كذلك .

ومع غلبة الظن بالمحجـور لأمارة تدل عليه ، ام يجـز الاذن ، ولم يكن إلا الرضاء والتسليم ، وذلك تقدير العزيز العليم ، وليس فى دين ولا فى رأى المسلمين ، ما يبيح الرقص لزار فى موضـع الضرورة فضـلا عن الاختيار ، ولكن فى كتاب الله تعالى ما دل على منعه ، وأمـر بقطعـه ، لأنـه فى شـمول المعنى أنواع من جنس الاعـادة بالجـن والشياطين ، لاعتقاد النفع والضرر منهم ، وذلك باطل فى الدين .

فلا يكن مسلم تم ايمانه ، وكمل يقينه ، وسلم لـه بفضـل الله دينه ، داخلا تحت لواء من قال الله فيهم : (وأنه كان رجـال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى فسادا فى دينهم ، ونقصا فى يقينهم ، لما فى عقـائدهم والالتجـاء الى الجن خـوفا من مفاسدهم ، ورجاء لذلك ، لدفع مضارهم ، وجلـب منافعهم ومسـارهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فزجرهم الله عن ذلك ، وذمهم هنالك ، وكفى بربك هاديا ونصيرا ، وكفى به بذنوب عباده خبيرا بصيرا ، والله أعلم وبه التوفيق .

❊ مسألة :

ومنه : وهل يجوز فى الدعاء أن الطاعة تسرك ، والمعصية تضرك ، فهب لى ما يسرك ، واغفر لى ما لا يضرك ؟

الجواب :

أحسب أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بالسرور ولا بالحزن ، وهو كذلك على الحقيقة ، ولكن يقال : ان الله يحب كذا ويرضاه ، ويكره كذا أو يسخطه ، على أنى يتوجه لى أن مثل هذا من القول لو قيل به على سبيل المجاز والتوسع لمعنى اتساع الحب والرضا لم أبعده من الصواب .

وفى ظنى أن مثل هذا قد يوجد فى لفظ الحديث ، ولا منافاة بين القول بمنعه على الحقيقة واستباحته فى المجاز من القول ان جاز ما حضرنى من هذا فلينظر فيه ، والله أعلم .

❊ مسألة :

ومنه : وهل يجوز فى الدعاء أن يقال : اللهم انى أسألك بالاسم الذى دعاك به موسى ، وكذلك ان قال : أسألك بما سألك به محمد صلى الله عليه وسلم ، وان كان له معانى فعلى أى المعانى يجوز وعلى أيهما لا يجوز ؟

الجواب :

قد اختلف الفقهاء الأقدمون فى جواز أسألك باسم كذا ، وقالوا :

بجـــواز أدعوك بأسمائك أو باسم كذا بظاهر القرآن ، ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، واذا جاز أن يدعا بهـــا فلا مانع أن يقـــال : أدعـــوك بأسمائك ، وبالاســـم الذى دعـــاك بها رســـلك وأنبياؤك ، أو ملائكتك أو موسى أو محمد أو عيسى أو ابراهيم عليهما السلام ، أو غيرهم لان الأنبيـــاء لا يدعون إلا بما جاز وكان حقا .

وعندى أنى أسألك يعنى أدعوك فجوازه أصح ، ويؤدى فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى دعاء الفـــرج : « اللهـــم انى أسألك بكل اسم هوالك سميت به نفســـك أو أنزلته فى شىء من كتبك أو أعلمته أحـــدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » الى آخره ، وهو دعـــاء شائع صحيح ونحـــن نحمـــد الله ونستجيزه ونستعمله متى فتح لنا القول به .

*** مســـألة :**

ومنـــه : وهل يجـــوز فى الدعاء أن يقال : وحق عليك أن لا تحرم سائلك ولا ترده ؟

الجـــواب :

وهذا يختلف فيه أيضا فى قول أصحابنا ، والأصح جوازه بدليل : (وكان حقاً علينـــا نصر المؤمنين) فهو من باب واحـــد ، وما أشبـــه الشىء فهو مثله ، وحق عليه أن لا يحرم سائلا ولا يرده بدليـــل وعده الصـــادق فى كتابه العزيز : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعـــوة الداع) وقال فى موضع آخر : (ادعونى أستجب لكم) فحق عليه أن لا يخلف وعده ، وأن يجيب من دعاه مخلصا له قصده .

وتالله انى لا أعلم خـــيرا الا من عنده ، ولا رأيت نجاحا الا من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصده ، ولا فضـــلا الا من عنـــده فله الحمـــد السرمد ، والصـــلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •

*** مســـألة :**

ومنـــه : وفيمن أحدث حدثا على طريق من طرقات مثـــل دكانة أو مثلها ، وكانوا يجلسون عليها أعنى حادثها ، أو من يأتى عنـــده ، ومن يمر بها ، أيجـــوز له لمن صح معه أنهـــا محدثة أن يسلم على من جلس عليها ، ســـواء الجالس عالما بحدثهـــا أو لا تفضـــل أوضـــح لنا وجه الصـــواب ؟

الجـــواب :

أما من أحدثها فى طريق حيث تحجر لضررها ، ويمنع لباطلها ، وتعمد الجلوس عليها ، فتلك معصية ، ويجب أن لا يســـلم عليـــه ، ولا كرامة له ، فكذا القول بالمنع من التسليم على كل مقيم على معصية الله فى حال كونه عليهـــا ، وأما غيره من يحتمل له مخـــرج فى الحـــق بوجه فلا يمنع من التسليم عليه ، والله أعلم فلينظر فى ذلك •

*** مســـألة :**

ومنـــه : واذا قال المذنب : تائب الى الله أو أتوب اليه من غـــير استغفار ، هل يكون مثل هذا اللفظ توبة ؟ وهل فرق بين اللفظتين ؟

الجـــواب :

لذا قال : أتوب الى الله من هذا الذنب فهو توبة له ، وقوله تائب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى الله أخبار عن توبة فيما مضى ، وفى الحال أو فى الاستقبال ، فيختلف فى الاجتزاء به فى ظاهر الحكم ، والأشبه أن لا يحكم به إلا أن يكون له جواز فى معنى الاطمئنانة ، حيث لا يرتاب أن مراد قائله ذلك ، وإلا فهو فى الحكم كذلك ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : ما تقول فى لبس الحرير والذهب والصفر والشبة والرصاص ، والصت والحديد فى الصلاة ، أيجوز أن يلبس فيها كثيرا كان أو قليلا ، وان جاز القليل فما مقدار جوازه ؟ وما الذى يجوز من ذلك ؟ وما الذى لا يجوز ؟ وكيف صفة لبس الجائز منه ، وما صفة لبس الذى لا يجوز ؟

وكذلك فى الأحجار والمذكور ان كان حليا أو فى شىء من السلاح أكله سواء أم بينه فرق بين لنا ذلك بجواب شاف كاف ، ما بان لك علمه مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

أما لبس الحرير الخالص فلا يجوز أكثر من عرض أصبعين ، سواء فى الصلاة وغيرها الا ما قيل بجوازه فى الحرب ، وفى قول ابن عباس أنه ممنوع لأجل الكبر ، والا فهو غير محرم ومختلف فيما سوى ذلك من غير الحرير الخالص ، فان زاد عن عرض أصبعين ولو كثر .

وأما الذهب فقليله وكثيره حرام ، لبسه ومختلف فيما اختلط بغيره مما هو دون الدرهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما الصفر والشبة والرصاص والاصت وأشباهه من المعادن غير الفضة اذا اتخذت حليا فبعض المسلمين كره الصلاة بها ، ويعجبنا جواز ذلك وعدم تكريهه ، ولم نجد فيه منعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نعلم المنع الا فى الذهب ، ولا من الباس غير الحرير على ما شرط فيه ، وجائز ما سوى ذلك من الأحجار كالياقوت والجوهر •

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول فى المرأة المتعسر خروج ولدها ، والناس تتبارك بالرجل الحاج اذا تخطى المرأة ، يجوز لهذا الرجل الحاج أن يتخطى امرأة أجنبية على هذه الصفة ، وكذلك ذات الرياح يجوز لهذا الارجل أن يقرأ عليها بقربها •

الجواب :

لا بأس بذلك اذا سلمت القلوب من الريبة ولم ير منها عورة ويمسها •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــاب

فى النيات وأحكامها وفى النية للصلاة والسفر وركوب البحر وفى الرياء وأحكامه وفى الغيبة والنميمة والعجب والوسواس وفيما يجوز وفى اللهو واللعب والسحر

*** مسـألة :**

وما تقول شيخنا الخليلى فيمن قال فى صلاته ، أو مع عقد النية فى جميع أعماله طاعة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك قال : طاعة لله ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل يوجـد فى شىء من المواضع أن يجـوز فيه الفتح والكسر أم لا يجوز أحدهما ؟ وان قال أحد فى صلاته عند عقـد النية : طاعـة لله ولرسـوله محمدا صلى الله عليـه وسلم بالنصب ، ما الذى يلزمه فى ذلك ان كان جاهلا أو ناسيا أو خطأ ؟

الجـــواب :

لفظة محمد صلى الله عليه وسلم كغيرها من الألفاظ ، تختلف عليها العوامل النحوية ، فترفع وتنصب وتجر ، واذا قال طاعة لله ولرسوله محمد فوضعها الجر أى الكسر ، وان نصبها أى فتحها فتحتمل شيئا من أوجه النحو ، لا يكون لحنا ولا يأثم قائله .

وليس فى الصلاة ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالتعيين إلا فى موضعين : فى الاقامة : أشهد أن محمدا رسـول الله أشهد أن محمـدا رسول الله ، وهو هاهنا منصوب أى مفتوح وفى التحيات : أشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وهو أيضا منصوب نعم فى عقد النيـة الأولى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الصلاة ، يقال : طاعة لله ولرسـوله محمد صلى الله عليـه وسلم وهو مجرور وقد مضى حكمه •

*** مسـألة :**

ومنـه : وفيمن يحب أن يكون لباسه حسنا وما أشبه هذا ، ومن اذا أتاه أخ لـه فى ذات الله تعـالى بتكلف له ، عمـل المأكل الحسن ، ونيته فى لباسه التجمـل مع الناس ، وأن لا يرى اخوته ما يكرهـون منـه ، وفى الثانى احتراما لأخيه وتعظيما له ، وبرا به أيدخـل على هذا الحال رياء أم لا ؟ تفضـل ارفع لنا قنـاع اللبس فى هذه المسألة ؟

الجـواب :

وليس فى هذا رياء وهو من النيات الصالحة التى يؤجر وثياب عليها المتقـون ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنـه : وقد يوجـد شيخنا : ومن خرج من بيته من غـير نية فهو كبيرة ، ولم نضبط لفظ النية لذلك بين لنا ذلك ؟

الجـواب :

أما من خرج من بيته بغير نية ولا لحاجة ، ولا لمعنى يقصـده فى نفسه من تفرج أو نظر الى شىء مباح ، أو لانتفـاع بنفس المشى لمصلحة ، فقيل انه معصية لخروجها عن الاباحة ، لأنه من باب العبث واللعب ، وهذه معصية ، ولكنها صغيرة ، والقول بأنه من الكبائر كأنه خطـأ ، والله أعلم •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسـألة :**

ومنـه : وهذه نية من أراد أن يصـوم كفـارة العشـور يقول : اللهم نيتى أن أصوم لله شهرين متتابعين ، كفارة لمـا على تكفيره من كل شيء من أمر دينك أضعته فى جهل أو عمد ، فوجبت على كفـارته متوسعا فيه بالرخصـة على الاجتزاء بكفارة واحـدة عنه كله طاعـة لله ولرسـوله محمد صلى الله عليه وسلم .

*** مسـألة :**

ومنـه : وفيمن بنى مسجدا ناويا لأهل الخـلاف ، والأهل مذهب الاستقامة ، وأن تلك البقعة بها مساكن أهل الخلاف ، وهو متعمد لذلك إلا إن حصل الأباضية فهـم القائمون ، وان عدموا فحينئذ هؤلاء ماذا يصير حكم البانى ، أله الأجـر بذلك أم يؤثم باعانتهم ؟

وكيف اذا نوى أن المسجد لله ، وحيث ما أقاموه فهم لا لمذهب مخصوص ، أم ليس له هذه النيات ، بل نيته لأهـل الاستقامة للدين فقط ، وان نوى غير ذلك لا أجر له ؟

الجـواب :

ينـويه لله لا لغيره ، وبناؤه فى ديار المسلمين أهل الاستقامة فى الدين أفضـل ، ولا يجوز له أن ينـويه لأهل الخـلاف فى الدين على حال ، لأنهـا من نية المحـال ، والمسجد أسس على التقـوى من أول يوم أحب الى الله وأرضى ، وهو للعبد أحظى وحيث ما بنى والقصد به وجه المولى لا غيره ، فجـائز والأفضل أولى ، وان نواه مع ذلك لأهل الدين عونا عليه فهو أعلى والله أعلم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** مسألة :**

ومنه : وهل لى أن أستضيف غنيا أو فقيرا اذا كان عندى ما يكفى يومى أو لياتى أم لا ؟ تفضل ببيان ذلك ؟

الجواب :

الله أعلم ، وأنا فقير لا أعلم ما يمنع من هذا لغنى فى حال غناه ، ولا لفقير فى حال فقره ، ولا نشرط فيه وجدان الغداء والعشاء ، وأن المسلم هو الناظر فى هذا لنفسه ولغيره فلا يرسل نفسه فى شهواتها ، ان شاء السلامة من آفاتها ، ولكل من الأشياء مواضع خصوص وعموم يعرف بها •

ومن نظر لنفسه نظر مشفق على دينه ، فنرجو من الله أن يهجم به على الحق فى هذا وغيره •

قلت له : تفضل سيدى بين لى خاص هذا الشأن وعامه ، لأكون منه على بصيرة من أمر دينى لئلا أوافق بجهلى المواضع المخطورة ، فأكون من الملومين فيه عند الله والمسلمين ، ولك الأجر من الله ؟

قال : قيل فى الأثر : ان العالم الى نظره أحوج منه الى أثره ، وأنا أقول فى مثل هذا ان المؤمن الى نظره أحوج منه الى أثره ، فالضيافة ان كانت لمسافر وعابر بسبيل فى موضع حاجة جائزة اذا كانت عند أخ فى الدين يحب لذلك أو قادر على فعله ممن لا يكره ذلك •

فان وقعت فيمن علم أنه محب اذلك ، ومتعرض لفعل الخير فيه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو أطيب وجوهها ، وأحسن صورها فيما يظهر لى ، وان تكن فى موضع الحاجة عند قادر على فعلها ، وغير متكلف لها ، ولا متحمل إياها بدين أو نحوه ، فهو موضع جوازها .

ولابد من مراعاة القدرة ، ودفع الضرر عن المسامين ، وأن لا يتحرى بهم تكليف أكثر من وسهم وطاقتهم فى ذلك ، فالخلق الكثير ، والجم الغفير اذا أنيخ به على الفقير العاجز عن اطعامه ، إلا ببيع أمواله ، أو يتحمل الديون عليه ، أو يلبسه جلابيب الحياء أو اللوم باعتذار ، أو بالهجرى والفرار ، وكأنه مما لا يؤمر به أو لا يباح فى أصله بخلاف الغنى الموسر الذى لا يعبأ بذلك ، ولا يعتد به ، ولا كلفة عليه فيه .

ومن راعى أحوال الناس ، وتفقد مواضع ما يأتى أو يذر فى معاملاتهم ، ليضع كل شىء من ذلك فيما أمر به أو أبيح له ، أو نهى عنه ، فنرجو من الله أن يمده بنور يقتدر به على التمييز بين الحق والباطل ، اتماما للنعمة من الله تعالى عليه ، بمعرفة الحق أو اقامة الحجة عليه من الله تعالى ، بوضوح العدل ، (وماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنى تصرفون) ، والمرء محمول على نيته ، فله ما نوى ، وعليه ما نوى ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وعمن بلى بالوسواس ، والبلابل ، وكان فى أمره ذا التباس ، وكان فى كل أمر الدين ذا شك كثير من صلاة وصيام ، بدل أو نذر أو غسل نجاسة من ثياب أو استنجاء ، أورد سلام على أحد اذا سلم عليه ، أو تسليم حق أو وضوء أو أذان لجماعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هذا دأبه فى كل ما يجب عليه لله تعالى ، أو لعباده المخلوقين ، يدخل فى كل ما وصفت على يقين ، وبعد خروجه يشك كأنه لم يفعل شيئا من ذلك ، وكان اذا كبر تكبيرة الاحرام ، واستعاذ وأخذ فى البسملة شك ، أهذه بسملة الحمد أم ابتداء نية الصلاة ، وهل لقطع ذلك من علاج تفيدنى اياه من تلاوة لشىء من الأسرار النافعة فى هذا ، تفضل علينا بالجواب ؟

الجـــواب :

قد نظرت فيما بليت به أيها السائل من تلاعب الشيطان بك بالوسوسة الى قطع السلوك بكثرة الشكوك ، ودخوله عليك فى الطاعة من بابها هو الذى ألبس الأمر عليك ، فلم تقدر منه على الخلاص ، لشدة ما به من الاعتياض .

ولهذا فهو يحتاج الى نوع من العلاج ، فان ألقيت الى الطبيب زمامك ، وجولته فى الرشد أمامك ، ونم تطابه فى الحين ، بالعلل والبراهين ، فعسى أن ينجع سر الدواء فيقطع مادة تلك الأدواء ، فانها من أمراض القلوب ، والخروج منها سهل على من وفقه الله تعالى ، واعلم أن تلك المادة الابليسية من الأمور الباطلية ، فلا تقدر على دفعها ، والاحتيال فى قطعها ، إلا بمضادة أسبابها ، وتسليط كل شىء على ما يقابله فى بابها ، بعد قطع شأفة العدو ، واستئصال مادة المرض ، وذلك لا يعدو عن شيئين :

أحدهما : نفس الموسوس وقطعه غير ممكن إلا بادامة الأذكار ، وصدق الالتجاء الى من بيده مقاليد الأشياء ، فقد ثبت عن الله تعالى فى كتابه المجيد ، وعن رسوله وأهل العلم الحميد ، وأن الشيطان لا يلج قلبا حاضرا مع الله تعالى ، بل كلما ذكر خنس ، واذا غفل العبد وسوس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالقلب فى الجسد بمنزلة الحصن ، وحضور المذكور فيه بمثابة الملك القائم بالحصن كلما اشتد قهره ، وتطاول أمره ، بهر الأعداء والأضداد ، وقهر الخصوم والأنداد ، فلم يبق لغيره فيه علاقة ولا مطمع ، فضلا عن العبث فيه بالفساد ، أو الجرأة على البغى والعناد ، ولكن هذا على اجماله ، ربما لا يهتدى اليه من لا دراية له بمنوالة •

فان الأذكار أكثر من أن تحصى ، والأسرار أجل من أن تستقصى ، وكلها من حيث التأصيل ، غير خارجة عن هذا التفصيل ، ولكل منها حظ مقسوم ، ومقام معلوم ، وأن هذا المبتلى ان استطاع فى الذكر الانقطاع ، فلا بأس ان أدله على كل ما أفاد ، معنى التبرئة والتنزيه من كل آية أو اسم أو تسبيح أو تقديس ونحوه •

وفى سر لا إله إلا الله لمن استلام عليه ، الى أن ينغمر بأنواره الباطنية ، ويكاشف بأسرار معانيه الخفية ، ما يرفعه عن حضيض الحضوض ، والشواغل بأسرها ، ان قدر له التخلى بسرها ، ولكن ذلك لا يصير عليه غير المنقطعين الى الله تعالى ، وقليل ما هم ، ومن عجز عن ذلك فدونك بالخصوص ما لتستعين به على هذا المخصوص ، فعليك باكثار من قول سبحانه الله الملك الخلاق (ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد • وما ذلك على الله بعزيز) •

واذا أردت الدخول فى الصلاة أو نحوها ، فقل ذلك ثلاثا بعد الاستعاذة ، ثم اقرأ المعوذتين ثم الاخلاص ، وافتتح الصلاة المعتمد على الله تعالى فيها ، واذا شككت فى شىء قد قلته فلا ترجع اليه البتة ، ولو كان تكبيرة الاحرام فما دونها ، فكل ذلك فيه الاختلاف ، كما وجدناه فى آثار مشايخنا الأسلاف ، فأليق بحالك أن لا ترجع الى الشك شىء قد تجاوزته الى حد غيره أو ما دونه ، فاذا كنت فى الحمد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مثلا ، فلا ترجع الى البسملة ولا الاستعاذة ، ولا تكبيرة الاحـرام ، ولا التوجيه ، ولو كنت فى آخـر الفاتحة ، فلا ترجع لأجل الشـك فى أولها ، ولا الى أوسـاطها ، بل ولا ترجع للشـك من آخـر الآية الواحدة منها ، الى أول تلك الآية بعينها ، فضـلا عما زاد وان تكن فى السـورة فلا ترجـع الى الحمـد أو فى الركـوع ، فلا ترجـع الى القراءة ، فكل هـذا وما يشـابهه أوسـع لك فى بـاب وكله ، قـد قيـل بـه فى الآثـار ما لـم تستيقن النقص أو النقض بالضـاد المعجمه والصـاد المهملة ، فلكل من ذلك حكمـه ، جـاز الرجـوع اليـه ، أو وجب الفساد به ، لأنه من الأحكام اليقينية ، وأما أمـور الشـك فميلنا فيهـا الى الترخص للمبتلى بالشكوك ، ولعـل ذلك هو اختيار أكثر المسلمين ، ويعجبنا الأخـذ به لمن اضطر اليه •

فان احتج عليك خاطر البـال بأن وجوب الصـلاة من اليقين ، فلا تخرج منهـا الا على يقين ، لأن اليقين لا يزيله الا يقين مثـله ، فاحتـج عليـه ان شـئت بمعنى قـول الشـيخ محمـد بن محبوب رحمـه اللـه تعـالى أن الـكلام من القـراءة والتكبير وغـيرهما ، والأعمال من الركـوع والسـجود ، ونحـو هـذا ليست صـورا قائمـة فتراها العـين ، بل تمضى كلهـا لا شىء بالنسـبة الى عالم المحسوسات ، وهى كذا فى حق جميع الخلق ، فالمطالبة بالبراهين اثبوتها رأى العين ، خارج عن القدرة البشرية ، فلا سبيل الى ما لا يستطاع •

وفى قول الشـيخ موسى بن على رحمـه الله للمرأة التى أبدلت صلاتها مرة واحـدة ، ثم شكت فيها وهى من المبتلين بالشـك ، فأمرها بتركها ، والنوم عنهـا ، وقال : البدل مرة واحـدة ، ففيه ما يسـتدل به على ما أسلفناه من الأعراض عن هذه الشبهة المعدودة من الأمراض ، فان لم يقبل الاحتجـاج ، وأبى إلا اللجـاج ، فاعـزم على مخالفته ، ووطن النفس على مراغمته ، فان ذلك من الشيطان الرجيم •

وتوسع بما ذكرناه لك فى هـذا المهيع الأوسع ، لحـال الضرورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منك ، فان الله يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب أن يؤخذ بعزائمه ، وان اتباعك لما أثبت عن أهل العلم والبصر ، والحلم أحق وأولى ، وأوفق وأحجى ، من الاقتداء بوسوسة الشيخ أبى مرة اللعين ، وأتباعه من الشياطين ، وعلى نحوه فاجر فى كل ما يشبهه أحكام الاسلام ، من طهارة أو غيرها ، فاكتفيت بهذا ، ووفقت لصوابه ، ولم تطالب بما فى المسألة من الأقوال ، والعلل والأحوال •

فعن قريب يحمد القوم السرى ، ويرجع المبطل القهقرى ، ويفلح المعتصم ، بحبل الله الذى لا يفصم منه العرى ، وان أردت التعمق فى واللجج ، والأخذ بالاحتياط والحجج ، فأنت وشأنك ، والاستكثار من الخير خير ، ولكنها طريق الأقوياء ، تصلح لأهل الضعف والبلاء ، والحكيم ينظر لكل شخص ما يليق بحاله ، ونفسك مطيتك ، وأنت سائقها الى ما ترجو فيه صلاحها وفلاحها •

وفى كل شىء خصوص وعموم ، ولابد من وضع كل شىء فى موضعه ، وانما تحريت لك فى هذه المسألة على ما تخيل لى أنه اللائق بحالك ، فأضربت عما لا أرى لك صلاحا فى كشفه ، خوفا من احتجاج المتنفس عليك •

فانظر فى جميع ما أجبتك به ، ثم لا تعمل بغير العدل منه ، ولا من غيره ، والله أعلم •

* مسألة :

ومنه : ودفع زكاة الفطر وغيرها أيتم بغية القلب ؟ أم لا يكفى إلا أن يقول للذى أعطاه قد دفعت اليك من وجه الزكاة أو غيرها ، بلفظ يسمع ويفهم من لسانه ؟